الرحلات والكشوف الأثرية

للعصر الحديث في شبه الجزيرة العربية

أ.د. عبد العزيز صالح

الكويت ـ ١٩٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

لا تكاد سير الرواد والتابعين في كل علم تنفصل عن تاريخ العلم نفسه، فهم بمثابة حلقات الوصل مابين ماضيه وحاضره، وربما زادوا فأرهصوا أحيانا بمستقبله. وكثيرا ماظلت بعض شواهد العلوم ظاهرة أمام الكافّة من البشر لفترات طويلة، ثم لايكاد يتعرف عليها ويفجّر ينابيعها غير قلة لمّاحة من الأنفس والقرائح النيرة، وتلك هي القلة الرائدة.

ونهج علم الآثار والبحث عن التراث نهْج غيره من العلوم الجادّة، في ريادته ومسالكه، فهو علم قديم في الوقت ذاته، قديم في مادته ووجوده، حديث في منهجه وتطلعاته. بدأ بلمحات من الاعجاب وحيوية الوصف أطلقها بعض الرحالة والهواة على الآثار القديمة هنا وهناك وثنى بجهود بعض الباحثين المثابرين في جمع النصوص الأصيلة للحضارات القديمة وعكوفهم على حلّ رموزها وتفسير مضمونها واقترن عملهم هذا في بعض أمره بمحاولات عدة لاستخلاص الآثار من مكامنها بأيدي علماء حينا، وبأيدي مغامرين حينا آخر. ثم انتهت مسارات الجميع في أفضل صورها إلى مراحل التحليل والتعليل وبث الحيوية وإعادة التركيب، لهذه الآثار ونصوصها، في إطار من الالتزام العلمي ومسئولية التاريخ.

أقدر من غيره على تفهم روح حضاراته القديمة وتطوراتها، لو أخلص القصد حقا لدراستها، وتوافرت استعداداته الصحيحة للبحث فيها. ولن نستطيع عرباً وشرقيين أن نغفل ماضينا، ونحن لازلنا نتأسى بتقاليده ونتأثر ببعض تجاربه، بل ونعيش بعض مظاهره، وتلك، دون شك، آيات الأصالة.

* * *

مقدمة

لئن اتصف العصر الحديث منذ بدايته نزوعه الى الابتداع والى التجديد في كل شئون الحياة وقطع في ذلك أشواطاً جدّ بعيدة وجريئة، فقد ظل في الوقت نفسه شغوفا بتقصى الأصول: أصول الأشياء، وأصول الكائنات، وأصول الحضارات، وتوضيح ماخفى من تاريخها القديم. واتبع هذا العصر في معظم دراساته لاصول الحضارات والشعوب أسلوب الرحلة ومنطق البحث العلمي والمقارنة المنهجية واستقراء المصادر الأصيلة من آثار مادية ونصوص، وخطا في ذلك أيضا خطوات حميدة منذ القرن السادس عشر الميلادي وحتى الآن.

وقد مس الدراسات الأثرية والتاريخية لشبه الجزيرة العربية طرف من هذا الاتجاه الأخير خلال العصر الحديث، وإن ظل نصيبها نصيبا يسيرا نسبياً إذا قورن بنصيب غيرها من مناطق الشرق القديم، وبقى أغلب الفضل فيه للباحثين الغربيين مع تفاوت القيمة العلمية لبحوثهم بين واحد وآخر.

وهيأت السبلَ أمام الاهتمامات الأوروبية بشبه الجزيرة إرهاصات حضارية أعقبت نجاح بعثة فاسكودي جاما في الالتفاف حول رأس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٨ والرحلة إلى قلب المحيط العربي. واستهدفت مصادر هذه الارهاصات فيما استهدفته من أغراض تجميع المعارف ورصد الفوائد ووضع الخرائط بطرق علمية لسواحل المحيط وموانيه. وانتفع أصحابها في بعض أمرهم باتجاه حركة

الاستشراق في المعاهد الأوروبية حينذاك إلى دراسة اللغات السامية دراسة مقارنة، واتجاهها بالتالي إلى نشر أمهات الكتب العربية والشرقية القديمة مع تحقيق نصوصها وفهرسة معلوماتها في التاريخ والجغرافية والرحلات وفي بقية العلوم، وذلك بلغتها الأصلية حيناً وبترجمات وتعليقات أوروبية حينا آخر.

وكان من أخص ماتناولته من المؤلفات العربية التي بزغت في سماء الشرق الاسلامي حين كان الغرب الأوربي سادراً في دنيا العصور الوسطى ثم أعادت نشرها: أطلس الادريسي الذي وضع في عام ١١٩٤ ثم نشر في أوروبا بعد أربعة قرون في عام ١٥٩٢، ومؤلف الجغرافي أبي الفداء «تقويم البلدان» الذي وضع في أوائل القرن الرابع عشر، ونشر في أوروبا في منتصف القرن السابع عشر ــ ثم ماتلا ذلك من نشر مؤلفات الهمداني وياقوت والمسعودي والاصطخري والمقدسي وابن بطوطة، وغيرهم، مع تنسيقها وفهرستها والتعقيب عليها إن قليلا وإن كثيرا. ومع تفاوت القيم والموضوعية لهذه المؤلفات وتذييلاتها الحديثة، فقد أدت في مجموعها إلى جذب انتباه المعنيين بفروعها من الأوروبيين المحدثين ودفعهم إلى ارتياد المجهول الذي تداولته من شئون الجزيرة العربية، سواء لتصويب المعلومات عنها أو للاستزادة من أخبارها. وكان لهم ولأمثالهم اهتمام غامض بتاريخها القديم لما أتت الكتب المقدسة به عن ملكة سبأ العربية القديمة وثراء دولتها، وعن أقوام مدين وعاد وثمود وأوفير وددان ودومة وتيماء والأنباط ومن إليهم، وما سجله المؤرخون والرحالة منهم الاغريق والرومان والبيزنطيون عن دول الجنوب العربي وإمارات الخليج، وعن غرائب

المناطق المنتجة للبخور والصموغ ومشتقاتها، وثراء تجارتها الخاصة، فضلا على ما تحصله من تجارة العبور (الترانسيت)، ثم ماوعاه الرحالة إلى الهند مما تناقله ملاحو وتجار سواحل اليمن وعدن وحضرموت والخليج من آثار قائمة أو مدفونة في بلادهم سجلت عليها نصوص ذات حروف عزت قراءتها عليهم وعلى جيرانهم من أهل الكتاب. وانضافت إلى ذلك كله دوافع الفضول الشخصي أو العلمي لدى بعض الرحالة والمؤرخين الغربيين لاكتشاف الشيء الجديد أو المثير، والتحقق من صحة المرويات القديمة، ولمعرفة المزيد عن الأرض التي انبعث دين الاسلام فيها، ورغبتهم في اختراق حاجز التحريم الذي منع المدينتين المقدستين مكة والمدينة على غير المسلمين.

وترتب على أمثال هذه الدوافع والملابسات، أن توالت جهود أوروبية عدة لكشف النقاب عن أسرار شبه الجزيرة العربية وحضاراتها القديمة، ثم تناولها بالشرح والتعقيب في صورها التي تركها أصحابها عليها، وبنصوصها الأصيلة التي سجلت أحداث تاريخها، وذلك دون الاكتفاء بالحديث عنها بطرق غير مباشرة اعتمادا على الروايات والتكهنات والأساطير التي اعتادها أغلب مؤلفي العصور الوسطى. وكان دون تحقيق هذه الغايات العلمية الحديثة خرط القتاد، وقد أقدم بعضهم عليه في جلَد وإصرار، وتعرض من جرائه لكثير من المشاقّ والمخاطر.

وإذا ما دعا واقع الحال إلى الاعتراف بأن أغلب الرحالة والمؤرخين والآثاريين واللغويين أصحاب الفضل الأكبر في هذه الجهود

كانوا من الأجانب ومن الأوروبيين بخاصة كما أسلفنا، فلا بأس من التعقيب في الوقت ذاته بأن بعض جولاتهم في شبه الجزيرة العربية تأتت أحيانا بوسائل غير مباشرة، ولم تكن تستهدف بالضرورة غرضا محددا دائما. وبدت بعض رحلاتهم في جنباتها امتدادا لرحلات أخرى قاموا بها في بوادي الشام وسواحل البحر الأحمر والخليج العربي، ولم تتعمد في بدايتها الكشف الصريح عن الحضارات العربية القديمة. بل وكثيراً ما قامت دراساتهم للمعالم الأثرية والتاريخية في سياق رحلات التعرف على الثروات الطبيعية والظواهر الطبوغرافية والجغرافية، ودراسة عادات البدو، وإشباع روح المغامرة وحب الرحلة إلى المجهول. بل واقترنت في بعض أمرها بهدف التمهيد للنفوذ الاقتصادي أو السياسي الأجنبي كذلك، لاسيما بعد أن هددت براثن الاستعمار الأوروبي شرق شبه الجزيرة العربية، في سياق سيطرتها على الهند. وظلت العبرة أخيراً بالنتائج.

وحدث من وجه آخر، وربما من قبيل رد الفعل العكسي، أن أدى تحفظ الدولة العثمانية ذات النفوذ في الشرق الاسلامي إزاء التعامل مع الأجانب، وتخوف المسلمين بعامة من سوابق تدخل الأغراب في شئون بلادهم، إلى التقليل من حجم البعثات والرحلات الأجنبية وجعل أغلب جهودها جهودا فردية تتم في غير علنية وبغير الطرق الرسمية أحيانا، بل وعلى أيدي غير المتخصصين أيضا.

وكان المدخل المتاح لأوائل الرحالة الأجانب في العصر الحديث إلى مناطق الجنوب العربي، هو وجود أعداد من اليهود

المستوطنين فيها وسهولة التخفي في أزيائهم وفي هيئة التجار. كما كان في تعدد أجناس الحجاج إلى بيت الله الحرام وتنوع هيئاتهم مَنْفَذاً لعدد من الرحالة الأوروبيين تظاهروا بالاسلام واستخفوا في هيئات لم تكشف عن أجنبيتهم، لاسيما هيئات الأتراك والمماليك، ذوى الأصول الخليطة، وتسللوا من ثم إلى داخل الحجاز ومدنه المقدسة (١).

* * *

وهكذا بدأت بوادر التسلل الكشفي في العصر الحديث بزيارات مستترة قام بها عدد من المغامرين والرحالة الوصفيين، وهؤلاء نعرض بعض أمرهم فيما يلي عرضا موجزا. وكان من أوائل من تواتر الخبر عن رحلاتهم كابوت الذي يحتمل تسلله إلى مكة بين عامي ١٤٧٦و١٤٩٠، وبيتر دي كويلان Peter de Couillan أو بيرو دي كويلا Pero de Couilla البرتغالي، وكان يحسن اللغة العربية، وروى أنه زار المدينتين المقدستين مكة والمدينة متخفيا حوالي عام ١٤٨٧ ــ ولكن لازال الخبران يعتريهما شيء من الشك.

ثم تحقق الخبر للرحالة لودوفيتشو دي بارثيما di Barthema Lodovicho الذي نشرت أخبار رحلاته باسم لويس دي فارتيم L. de Varthema البولوني وكان قد ركب البحر من البندقية في إيطاليا في عام ١٥٠٣، ووصل إلى القاهرة وطوف بها، كما ارتحل إلى بعض مدن الشام وأقام في دمشق وتعلم اللغة العربية فيها، ثم صحب أحد ضباط المماليك في حراسة قافلة للحج الشامي انطلقت عبر مزيريب في حوران واجتازت صحراء النفود ووصلت بعد ٢٢ يوما إلى ماظنه وادي سدوم وعمورة، وقد أشار في مذكراته إلى خرائبه، ولعله قصد خرائب مدائن صالح أو العلا في شمال الحجاز، ثم وجد سبيله مع القافلة إلى المدينتين المقدستين المدينة ومكة، ووصف مناسك الحج من وجهة نظره، ثم تخلف عن قافلته في جدة ووصف ميناءها في مذكراته، واتجه بعدها

جنوبا حتى ميناء جيزان، وركب البحر حتى عدن فبلغها حوالي عام ١٥٠٨ أو ١٥٠٩م. وهناك قبض عليه للشك فيه واحتجز لفترة ثلاثة شهور. وعندما أطلق سراحه تجول في لحج وصنعاء وزبيد وتعز، وزار مدينة ذمار الجبلية ثم عاد الى عدن ليبحر منها إلى الهند حيث انضم إلى الجيش البرتغالي وواصل معه مغامراته. وعند عودته إلى روما تيسر له أن ينشر مذكراته، وكان أكثر اهتماما فيهابما لاحظه في رحلاته من حياة الناس، عنه بالنقوش والآثار، وكانت له شطحاته لارضاء قرائه. ولكن مؤلفاته لم تخل من براعة الوصف فوجدت ذيوعا كبيرا وأصبحت معينا لمن تلوه، لاسيما وأنها عاصرت الدوى الهائل الذي أحدثه نجاح رحلة فاسكودى جاما في الأوساط الملاحية والتجارية والعلمية(٢).

وعلى نحو مايقال يثاب المرء رغم أنفه، أدت ظروف الأسر وغدرات الحرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى الالقاء بعدد من الأوروبيين إلى سواحل شبه الجزيرة العربية وبعض مناطقها الداخلية. فاستقر بعضهم على أرضها وخفيت أخباره، بينما عاد بعضهم الآخر إلى أوطانهم وكتبوا فيها عن مشاهداتهم خلال فترات اغترابهم الاضطرارية. ولم يتيسر لهؤلاء الأسرى من مقومات الرحالة إلا ماساقتهم المصادفات إليه من مشاهدات، ولهذا لم يضف ماكتبوه أشياء كثيرة إلى ماعرفه الغربيون عن ماضي شبه الجزيرة. بل إن عددا منهم أساءوا تفسير بعض ماتناقلوه، إن عمدا وإن عفوا ولكنهم كانوا على أية حال ضمن العيون الأولى التي تطلعت أوروبا بها في عصرها الحديث إلى شبه الجزيرة العربية وأهلها بعد أن خفيت أخبارها عن العالم الخارجي قرونا طويلة.

وهكذا وفي ربقة الأسر قطع اليسوعي جريجوري داكوادراDakwdra Gregeory شبه الجزيرة العربية من جنوبها الغربي إلى شمالها الشرقي. وكان قد نجا هو وخمسة من رفاقه البرتغاليين من الغرق في البحر، ولكنهم سيقوا أسرى إلى أميرعدن في زبيد في عام ١٥٠٩، ثم انتقلت تبعيتهم بعد بضع سنوات إلى منافسه أمير مكة، فصحبه داكوادرا إلى المدينة المنورة، وقد ادعى الاسلام وتعلم اللغة العربية وعندما أخلى سبيله بعد حين سلك طريقا وعرة عبر صحراء النفود إلى ميناء البصرة، ثم غادرها إلى الهند ليعود من ثم إلى بلده و ينشر على مواطنيه ماعاناه وشاهده إبان غربته.

ورغم أنفهما عاش الأ بوان اليسوعيان بايز ومونتسرات، أربعة أشهر في ظفار وحضرموت بعد أن تحطمت سفينتهما في عام ١٥٨٩ وهما في الطريق إلى الحبشة، فوقعا أسيرين في أيدي بعض عرب الساحل، ثم سيقا فيما بعد إلى صنعاء حيث بقيا فيها بضع سنين. وإلى جانب ما لمساه و وصفاه من معايش الناس وصور العمران، شاهدا هناك أطلال محرم بلقيس بضخامته وروعته ونقوشه الغامضة. وربط أحدهما بين نسبته إلى بلقيس و بين الأسطورة الحبشية التي اعتبرت ملوك الحبشة من نسل سليمان وماقدة (وهي بلقيس العربية)، مستنتجا أنه إذا كانت البلدة التي أقيم هذا المحرم فيها لملكة سبأ المشهورة، أمكن أن يعتبر ذلك دليلا على أن دولتها لم تشمل الحبشة فحسب، بل وشملت بلاد العرب أيضا. على أنه اذا كان هذان الأ بوان من اوائل الأ وروبيين المسيحيين الذي قطعوا الجنوب العربي من شرقه إلى غربه، فان تقريرهما لم ينشر إلا بعد وفاتهما بعشرات السنين، ولهذا لم تتم الاستفادة به في حينه.

وشهد الألماني يوهان فايلدن موسم الحج في مكة رقيقا في خدمة مولاه التركي في عام ١٦٠٤، وعندما عاد إلى وطنه في عام ١٦١١م نشر أخبار رحلته.

وفي عام ١٦٣٣ سيق اليسوعي إمانوئيل دي الميدا من عدن إلى خنفر ولحج. وروى أنه قابل إبان اقامته في المخا كاهنا كاثوليكيا هندي الأصل يدعى ماثيودي كاسترو تعلم اللغة العربية في القدس ثم نصبته الكنيسة الرومانية مطرانا في بلده. وعندما اضطهده المستعمرون البرتغاليون فيها هاجر منها متنكرا عبر شبه الجزيرة العربية وسلك طريق البر فيها إلى المدينة المنورة في عام ١٦٤٣، ثم اتجه منها إلى مصر، وغادرها إلى روما، وإن لم يسجل بنفسه أخبار هذه الرحلة.

ونشطت المؤسسات الأوروبية إلى عقد الامتيازات التجارية والملاحية مع بلاد اليمن في عصرها التركي، وفي عهود استقلالها، خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، من أجل استغلال موانيها واستيراد منتجاتها التقليدية التي انضاف محصول البن اليها وزاد من قيمتها. وهكذا قام البريطانيون الكسندر شاربي Alexandr Sharpey وجون جوردايـن John gordin في عامي ١٦٠٩ ــ ١٦١٠م، ثم هنري ميدلتن Henry Middleten بعدهما بفترة وجيزة ــ برحلات اكتست بطابع التجارة والسياسة والمغامرة في عدن والمخا وتعز وذمار وصنعاء، وتركت آثارها في ذكرياتهم عن طبيعة البلاد العربية وأهلها.

ودخل الهولندي بيتر فان دي بروكه Peter Van De Brooca سواحل اليمن مرتين في بداية القرن السابع عشر أيضا، مندوبا تجاريا

لشركة الهند الشرقية، وزار عدن وميناء الشحر وقشن والمخا وتعز وذمار وصنعاء. ومع ما اصطبغ به تقريره من دقة عن الظواهر الطبيعية والموانى والمدن وأحوال السكان، فانه لم يلتزم بهذه الدقة فيما وصف به ماشاهده من المعالم الأثرية، واكتفى بأن ردد عنها ما سمعه من أساطير السكان دون تمحيص. فهو يذكر على سبيل المثال أنه رأى في صنعاء معبدا رائعا توجد في مدخله كتلة خشبية ضخمة منزلة في بوابة من القلز قيل له إنها من بقايا فلك نوح. وشاهد دارا كبيرة قيل له إنها بنيت على عهد نوح أيضا، وبئرا قيل له إن يعقوب احتفرها، وقام بالقرب منها أثر ضخم اختفت معالمه على أيامه وروى له أنه كان معبدا متسع المساحة تضمن مائة عمود تحت كل عمود منهما من حجر واحد(٣).

ولم يتخلف بعض الكتاب الفرنسيين عن معاصريهم فيما ألفوه عن شبه الجزيرة العربية، ففي أوائل القرن الثامن عشر الف جان دي لاروك Jean De La Roque الفرنسي مادة خصبة لكتابين أصدرهما عن عرب شبه الجزيرة في ذكريات بعض مواطنيه عن رحلتين، إحداهما بعيدة العهد عنه في شمال غرب شبه الجزيرة، والأخرى قريبة العهد منه في جنوبها الغربي. ففي الشمال كان قد طرق أبواب البادية العربية فرنسي يدعى رينودي شاتيون Renault De Chatillon، ثم تبعه في عام ١٦٦٠ شاب يدعى لويس دارفيو تعلم اللغات العربية والتركية والفارسية ومهر في الدبلوماسية ثم ابتعث مندوبا للقنصل الفرنسي في صيدا إلى أحد أمراء البادية والمشرفين على جنوب فلسطين وشمال سيناء تحت طاعة السلطان العثماني. فتزيى بزي رئيس تركي واخترق حزام البادية، وأسهب في تقاريره عنها وفي تحليل أخلاقيات البدو وعبر عن وجهات

نظرهم فيما يمارسونه من عادات وتقاليد بوجوهها الطيبة ووجوهها السيئة وإن تقيد بقصص التوراة في أحاديثه عن أسلافهم ولم يمحصها بروايات العرب وعقائدهم(٤).

أما في الجنوب العربي فقد ترددت سفن شركة سان مالو Saint Mallow على موانيه لاتمام تعاقدات اقتصادية مع حكامه بعد أن انحسر الحكم التركي عنه، وحدث في إحدى المرات خلال عام ١٧١٢ أن وصلت سفينتان إلى ميناء المخا، وهناك استدعى طبيبهما باربييه Barbier لمعالجة أمير اليمن، فصحبته بعثة صغيرة إلى ذمار حيث مرّ معها بتعز و يريم في نفس الطريق الذي سلكها من قبل دي بارثيما. وسجل رئيسها دي لاجرلود ييه Major de La Grelaudiere وكان من دارسي الطبيعات، وزميله باربييه مشاهداتهما في هذه المدن من حيث خصائص المجتمع وطوائف السكان وتقاليد الحكام وذلك بعيون الضيوف المكرمين في هذه المرة وليس بعيون الأسرى أو المشبوهين كمن سبقوهما.

وانتظم في سلسلة الزيارات العارضة الانجليزي جوزيف بتيس دكستر الذي زار الحجاز برفقة سيده الجزائري في أواخر القرن السابع عشر، ثم نشر عن رحلته بعد تحرره في عام ١٧٠٤، وقدم معها وصفا موضوعيا لمناسك الحج والزيارة وتنظيمات قوافل الحجاج التي سايرها منذ خروجها من شمال أفريقيا ومصر حتى بلوغها الأماكن المقدسة.

ولم ترتبط هذه الزيارات والرحلات وأمثالها بعلم الآثار أو التاريخ القديم بصلة مباشرة، ولكن أصبح النشر عنها موجها للمؤرخين ومعوانا للجغرافيين الأوروبيين على تخيل خارطة شبه الجزيرة العربية في

خطوطها العامة ومعالمها الرئيسية، بعد أن أضافوا إليها ماتضمنته عنها مؤلفات الرحالة والجغرافيين المسلمين التي ازداد نشرها في أوروبا شيئا فشيئا. وتراوح مدى الصحة بين خارطة وأخرى، وكانت أقربها إلى الواقع خريطة دانفيل الجغرافي الفرنسي، وقد صدرت في عام ١٧٥٥، وإن لم تعط فكرة صحيحة عن الخليج العربي وأغفلت تحديد موقعي الكويت وقطر. وكان الايرلندي إدوارد رتشارد بوكوك قد اعتمد في الوقت نفسه على المصادر العربية والمراجع الأوروبية المنشورة حتى أيامه في اصدار كتيب بعنوان «نموذج من تاريخ العرب» وقد نشر في عام ١٧٥٠(٥).

ومرة أخرى لم تمثل الجهود السابقة غير مقدمة للتعريف بمداخل المسرح الكبير الذى أصبح من المتوقع أن تقدم عليه فصول أخرى واعية من كشوف مقصودة يؤدي أدوارها رجال مدربون.

ويجدر بالذكر أن صحوة الوعي التاريخي وأدب الرحلات لم تقتصر على الغربيين وحدهم في بداية العصر الحديث. وكان من ذلك على سبيل المثال أن أخرج عبد الغني بن أحمد بن ابراهيم النابلسي كتابا في عام ١٦٩٣ بعنوان «الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز»، وصف في سياقه بعض ماشاهده من آثار مدائن صالح والحجر ومغاير شعيب، ونسخ بعض نقوشها نسخا تقريبيا. وشابهه آخرون وإن أعوزهم التفسير العلمي الدقيق لما شاهدوه.

* * *

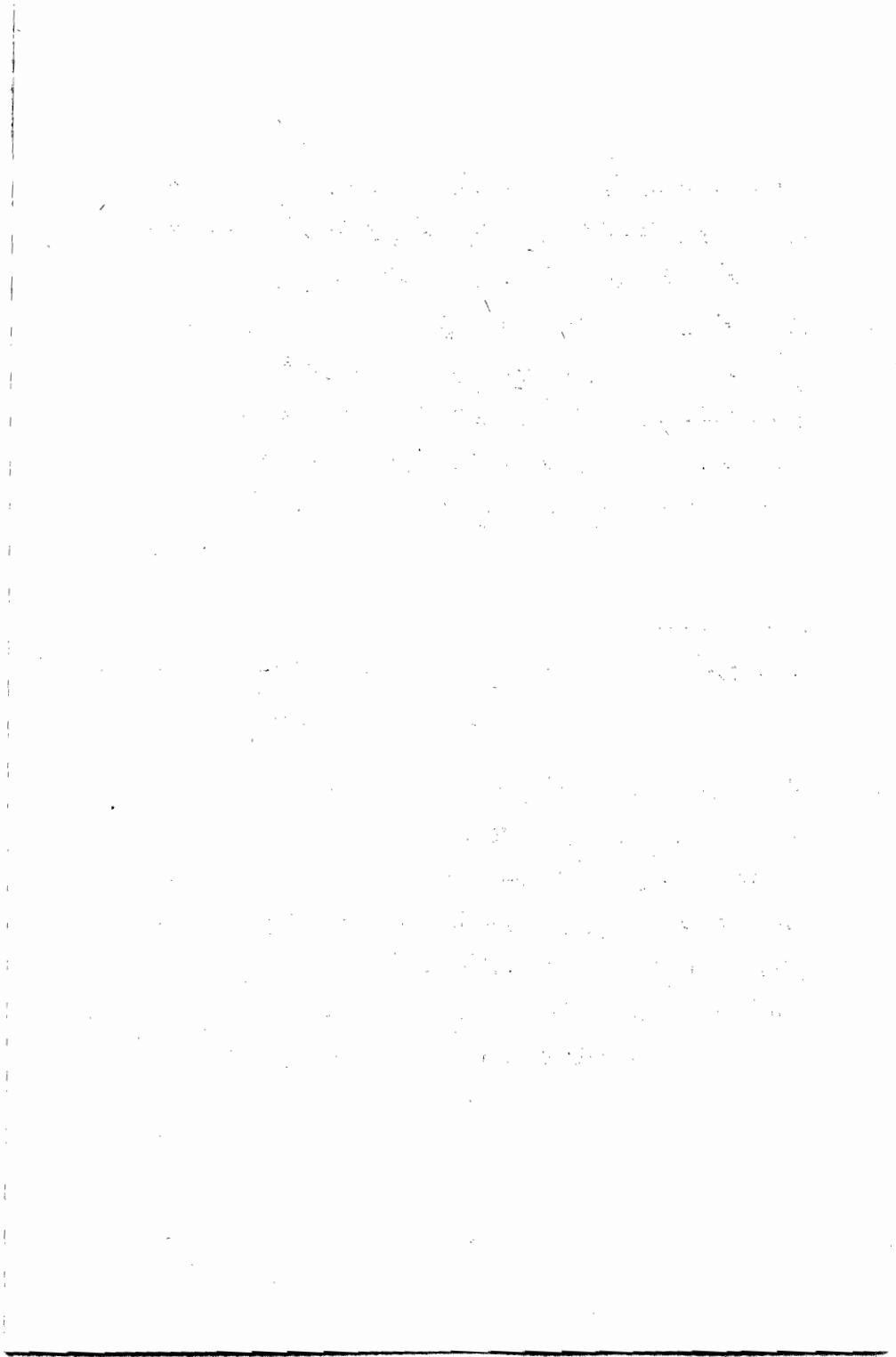

تحولت بعض الجهود الكشفية في المشهد الأول خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر من دور التسلل والمشاهدات العفوية إلى دور التقصي والدراسة المقصودة.

ففي سياق الرغبة في كشف المجهول من سحر الشرق الغامض وتفسير ما أتت به أخبار العهد القديم والمؤلفات الكلاسيكية عن أهله، وتأسيسا على ما أضافته أخبار الرحلات السالف ذكرها من أوصاف مثيرة وآفاق جديدة تغرى بالدراسة والاستثمار وربما بصورة مامن صور الاستعمار أيضا، اقترح يوهان ديفيد ميخائيلس أستاذ اللغة العبرية ودراسات العهد القديم بجامعة جوتنجن الألمانية وزميله المستشرق الدانمركي ف . كريستنسن فون هافن، على الكونت ج .هـ.أ . بنرشترف أحد نبلاء الدانمارك أن تتبنى دولته مشروع بعثة مشتركة للقيام بدراسات جغرافية وطبيعية في الشرقين الأدنى والأوسط يمكن أن تفيد في تحقيق وتفسير بعض روايات التوراة. وسرعان مالقى هذا الاقتراح تشجيعا من ملك الدانمارك فريدريك الخامس. وتألفت بعثة من خمسة أخصائيين لهذا الغرض ولتقصي ما اقترحته عليهم بعض الهيئات العلمية الألمانية والفرنسية والبريطانية من موضوعات ومشكلات تتعلق ببحوث البيئة والنبات والحيوان والمنتجات وطبغرافية السواحل والموانى، ومظاهر العمران وتكوينات السكان، والتقاليد والعادات. وهكذا

ضمت البعثة باحثا في اللغات الشرقية، وهوف.ك.فون هافن Haven F. Chr. Von، وباحثا في علم النبات والحيوان وهوب. فورسكال Peter Forskal وكانت له هو الآخر معرفة باللغة العربية، وطبيبا للاشراف على سلامة البعثة ودراسة الأوبئة والنباتات الطبية وما إليها، وهو ك.ك كرامر Chr Carl Cramer، ورساما لتصوير المناظر الطبيعية والمعالم السكنية وهيئات السكان والأزياء والأسواق، هوج . ف. باورنفيند George Welhelm Baurenfeind، وضابطا مهندسا للدراسات الجغرافية والطبوغرافية وهو كارستن نيبور Carsten Niebuhr، ذلك فضلا عن مرافق من الحرس الدانمركي. وتزودت البعثة بما يمكن أن يفيدها من أجهزة فلكية وأدوات قياس وخرائط ومنها خارطة دانفيل، وبعض مراجع الرحلات مثل كتاب «تقويم البلدان» لأبي الفداء، ومشاهدات دي فارتيما، وقصص دي لاروك .. إلخ.

وهكذا أملت البعثة لرحلتها آفاقا واسعة وقدرت ثلاث سنوات لاتمام مهمتها. وبعد ارتحالها في بداية عام ١٧٦١ إلى بعض المناطق الشرقية واتجاهها إلى الساحل العربي ــ بلغت البعثة ميناء القنفذة مع عام ١٧٦٢، وإرتادت بعض مناطق الجنوب العربي في تهامة وتعز وزبيد والمخا وصنعاء والخليج واستمرت حتى الهند، وجاست خلال ماتيسر لها بلوغه من السواحل والمرتفعات والقرى، ولكن لم يبق من يحدث عن أخبارها غير الضابط المهندس نيبور بعد أن تساقط رفاقه صرعى متتابعين بين عام ١٧٦٢ وعام ١٧٦٤، فتوفى المستشرق بالمخا أو قربها، وباحث الطبيعيات في يريم، والرسام والمرافق في سوقطرة، ثم الطبيب في بومباي. وعلل نيبور مصارع زملائه باندفاعهم وتسرعهم في التجول،

وفشلهم في التأقلم مع خصائص البيئات التي دخلوا إليها من حيث مطالب المناخ والطعام والكساء وسبل المعيشة ومعاملة السكان. وشذ عنهم نيبور فراض نفسه على حياته الجديدة فنجا، واحترم مشاعر الأهالي فأحسنوا معاملته، وتعلم اللغة العربية وارتدى زيا تركيا فلم يلفت الأنظار إلى أعجميته. وهكذا أسعده الحظ فواصل الطريق المرسومة للبعثة ونشر عن نتائج فترة الرحلة التي استغرقت نحو العام في نواحي اليمن وحضرموت ومسقط ، مع ماسمع به عن نجد والحجاز. وكان ذلك إلى جانب ماوصف به مناطق أخرى في الهند وفارس والعراق والشام وتركيا وقبرص، في ذهابه ثم في إيابه حتى عام ١٧٦٧، وقدم نيبور صورا شائقة لمشاهداته وانطباعاته هو ورفاقه عن الأمكنة ومعالمها وناسها وتقاليدها وحاصلاتها في مؤلفات متتابعة باللغة الألمانية منذ عام ١٧٧٢ ــ وجمع فيها إلى خبرته الخاصة مارصده زملاؤه عن أنواع النباتات والحيوانات وعادات الشعوب. وزودها بمعلومات طبوغرافية وكرتوجرافية، كما ضمنها صوراً لمخطوطات عربية وخطوط كوفية وأشار، وهذا هو بيت القصيد هنا، إلى نقوش قديمة ذات حروف خطية عمودية من مدينة ظفار اليمنية، وافترض وجود أمثالها في مرتفعات تعز وصنعاء وتهامة، (و يبدو أنه زوده بنسخة منها و ببعض المعارف التاريخية الأخرى رجل هولندي أسلم وأقام في المخا). وكانت هذه الاشارة من العوامل الأ ولى في توجيه أنظار المستشرقين إلى خط المسند العربي القديم. ووجه نيبور الأنظار على خرائطه إلى بعض المواقع والمعالم الأثرية التي مر بها. وقوبلت هذه الجهود فيما بعد بكثير من التقدير لاسيما مع ترجمة فحواها إلى اللغة الانجليزية بعد صدورها

بقليل، مما أدى الى حفز الهمم لاقتفاء آثاره في شتى الميادين.

وليس من ضرورة بطبيعة الحال إلى تزكية كل ماسجله نيبور في القرن الثامن عشر عن شبه الجزيرة العربية وأهلها، فهو قد أغفل تقدير أشياء وبالغ في تصوير أشياء أخرى. ولم يكن علم الآثار كدراسة حضارية متكاملة قد ثبتت مبادئه في أيامه إلاّ فيما شذ عن المألوف من الآثار الضخمة أو الفخمة أو كثيرة النقوش. ففي حديثه عن مدينة مأرب التي ذكر أنها لم تتضمن على أيامه أكثر من ثلاثمائة بيت صغير، أضاف نيبور قائلا «و يروى الأهالى أنه توجد فيها خرائب عصر بلقيس ملكة سبأ، وهي خرائب لا تتضمن أية كتابات أثرية على الحجارة». ولعله غبن بهذا الوصف عن غير قصد معبد أوام القائم إلى جنوب شرق مأرب، وقد كشفت بعثة أمريكية عن مدخله في عامي ١٩٥١ــ ١٩٥٢، ووجدت به من بدائع العمارة وكثرة النقوش مايجعله من أروع معابد الجنوب العربي. ولم يوف نيبور سد مأرب حقه إذ يقول «يتراوح ارتفاع السد بين أربعين وخمسين قدما من الحجارة المنحوتة، ولا تزال آثاره باقية في الجانبين، ولكنه لم يعد يحتجز المياه التي تجرى في الوادي...، ولهذا فليس في الحوض الكبير الملحق به والقريب من مأرب مايثير العجب...».

ومع اهتمامات نيبور الطبوغرافية ظلت خرائطه محلية أو على الأكثر إقليمية. بمعنى أنه وان قدم صورا مقبولة لكل منطقة مهمة زارها و بين خصائصها بالقول أو بالرسم والتخطيط، وأضاف بذلك إلى معلومات الأوروبيين المعروفة حتى عهده مايحتسب له، إلا أنه لم يستطع أن يقدم صورة أو خارطة متكاملة لشبه الجزيرة العربية.

وعلى أية حال فيكفي نيبور أنه أنصف التاريخ العربي المسلم حين قال مايمكن إيجازه فيما يلي: لقد أخطأ الجغرافيون الأوروبيون، على ما أعتقده، حين صوروا جزءا من الجزيرة العربية تابعا للفرس...، لأن العرب هم الذين يمتلكون جميع السواحل البحرية (المقابلة) للدولة الفارسية من مصب الفرات إلى مصب الاندوس...، بل إن المحلات الواقعة على السواحل الفارسية وإن لم تخص الجزيرة العربية ذاتها مستقلة عن الفرس وتتحدث اللغة العربية...، وتأخذ بتقاليد البدو في نظم الحكم والبساطة والاباء...، ويمكن تشبيه نظام حكم البدو بالنظام الديمقراطي في بلاد الاغريق القديمة...، ولعل محالهم هناك قد نشأت في عهد أوائل ملوك الفرس....، ولكن ليس للعرب للأسف مؤرخون يذيعون شهرتهم فيما وراء حدودهم الضيقة....»، وحسب الرجل أيضا أنه كما انتفع بتجارب عفوية مع الآثار والكتابات العربية الجنوبية، كانت له اهتمامات تماثلها بآثار ونصوص فارسية قديمة شاهدها في مدينة برسوبوليس (اصطخرم) عاصمة الفرس القديمة ونبّه إلى أهميتها، فأصبح مبشرا بازدهار قريب للدراسات القديمة في الناحيتين(٦).

وبعد جيل أو نحوه ارتحل الاسباني دومنجو باديای ليبليش Domingo Badiay Leblich من المغرب إلى مصر سعيا وراء الرحلة أو خدمة لمآرب السياسة الفرنسية في البحر الأحمر. وقد اتخذ شخصية المسلم، وتسمى باسم على بك العباسي مدعيا نسبته إلى نسل بني العباس. وتتبع الموانى العربية الشمالية على البحر الأحمر في عام ١٨٠٧، ودخل المدينة المنورة وزار مكة المكرمة ووصف مقدساتها، وتعرف على

طبوغرافية المنطقة وحدد مواقع المدن والموانى التي زارها بشيء من الدقة. وهكذا زاد من معرفة العالم الخارجي بدنيا الحجاز حينما نشر عن أخبار رحلاته في عامي ١٨١٤ و١٨١٦(٧).

واقتفى أثره الألماني أوليريخ جيسبار شتيزن A. J. Steezen الذي تزود بثقافة شرقية مناسبة في سوريا ومصر منذ عام ١٨٠٢ وتنقل في المناطق الحدودية بين فلسطين وسيناء وشمال شبه الجزيرة، وأعلن اعتناقه الاسلام ورافق قافلة للحج في عام ١٨٠٩، وتجول في بعض ربوع الحجاز ورسم في مؤلفه مخططا للمدينة المنورة ثم اتجه إلى الجنوب فبلغ الحديدة في عام ١٨١٠ وانطلق منها إلى بيت الفقيه وزبيد وحجة وقسمة وصنعاء بحثا عن النقوش الغريبة التي أشار نيبور إليها. ونسخ خمسة نصوص من مدينة ظفار خلال عودته من صنعاء إلى عدن، ثم واصل المسيرة إلى المخا، ولكن مالبث حتى انقطعت أخباره في عام ١٨١١، ولعله قتل مسموما في تعز أو ضل طريقه حتي هلك، وفقدت مذكراته وتبعثرت، وإن انتقلت صور النصوص التي عثر عليها إلى عالم النور بعد أن كتب بصورها إلى أحد مشجعيه وكان يرأس تحرير مجلة للدراسات الجغرافية والفلكية حيث جرى النشر عنها في العام نفسه(٨). وكانت على الرغم من بساطتها وصعوبة قراءتها بداية متواضعة لفتح الطريق امام الدراسات السبأية. ولعله حفز الهمم لمتابعتها أنها صادفت أصداء المحاولات الناجحة لقراءة لغة شرقية أخرى وهي اللغة المصرية القديمة بناء على نصوص حجر رشيد وماسواها من نصوص، فضلا على مبدأ النشر في نفس الوقت من النصوص النبطية.

وكما مهدت رحلة نيبور للبحوث الفعلية الحديثة عن الجنوب العربي، مهدت رحلة السويسري يوهان لودفيج بوركهارت Burkhardt J. L. السبيل لبحوث حديثة أيضا عن الحجاز. وكان بوركهارت قد جاس خلال الصحراء السورية منذ عام ١٨٠٩ وتعرف على آثار البتراء ونشر عن بعض نقوشها النبطية، وانفتح الباب من ثم لتتبع أمثالها في شمال الحجاز. وأشهر الرجل إسلامه وتسمى ابراهيم بن عبد الله، وتفقه في اللغة العربية وفي بعض أحكام الاسلام. وساعده ذلك على دراسة المجتمع البدوي وتنظيماته وعاداته. وعاش فترة في القاهرة خلال عهد محمد علي ثم ارتحل عنها إلى أسوان وإلى جدة في عام ١٨١٤، وزار مكة المكرمة والطائف وتتبع ساحل الحجاز إلى منطقة الحجر حيث شاهد بعض آثارها، وزار المدينة المنورة في عام ١٨١٥، ثم غادرها إلى ينبع وارتحل بعد ذلك منها إلى القاهرة حيث توفي ودفن في عام ١٨١٧ ــ وحاول بوركهارت أن يتحرى الدقة في تسجيل ماشاهده في رحلاته من أمور العمران وحياة السكان، وهو وإن لم يكن ذا علم بالآثار إلا أنه فتح برحلاته طريقا أمام المعنيين بها(٩).

وهيأت اهتمامات محمد علي بمناطق الحجاز سبيل الرحلة والاستطلاع والبحث فيها لعدد من المندوبين والباحثين الأجانب ــ ومنهم الألماني الجيولوجي إدواردروبل الذي جاس خلال ساحل الحجاز للتعرف على تكويناته الطبيعية. وتجول فيما بين المويلح والعقبة على طريق الحج المصري في عام ١٨٢٦، ونبه خلال تجواله هناك إلى وجود آثار قديمة قرب المويلح في مغير، وكان ذلك مقدمة للتعرف الحديث على آثار مغاير شعيب.

وامتد الاهتمام إلى نجد، على الأقل من حيث طبوغرافية الأرض ومعلوماتها الرئيسية، وقد ساهم في هذا العمل جومار الفرنسي الذي عمل في خدمة محمد علي، فكتب «نبذة جغرافية عن بلاد نجد»، وأرفقها بخارطة لقلب شبه الجزيرة جمع معلوماتها من اتصالاته ببعض النجديين ومن رجال محمد علي ومن ملاحظات ج.ف. سادلير البريطاني في رحلته من الخليج العربي إلى الحجاز ليلحق بجيش ابراهيم. ثم ألحق جومار بهذا العمل عملا آخر نشر فيه عن طبوغرافية إقليم عسير(١٠).

وجرى على سبيل مشابه جورج أوجسطوس فالين Wallin George Augustus وهو فنلندي النشأة ومن رعايا قيصر روسيا. وقد حصل على منحة جامعية طويلة الأجل للاستشراق، فقضى نحو سبعة أعوام متنقلا بين إيران والعراق والشام ومصر. وأجاد اللغة العربية خلال رحلته وتعرف على مبادىء الاسلام. وحينما اتجه بنشاطه إلى نجد نصحه فولجانس فرسنل F. Fresnel القنصل الفرنسي في جدة بألا يبدأ رحلته إليها من القاهرة رأسا حتى لايثير الشبهات حوله بصلاته بمحمد علي، فاتجه من دمشق عن طريق معان إلى ساحل الحجاز حتى بلغ المدينة المنورة، ثم ارتحل بطريق السرحان إلى الجوف ومنه الى النفود وحايل في شمر في عام ١٨٤٥ وكانت مقصده الفعلي. ثم زارها مرة ثانية في عام ١٨٤٨ بعد أن اصطحب قافلة عراقية إلى المدينة ومكة، وسار في طريقه إلى تبوك وتيماء. وإذا تجاوزنا عن الدوافع والنتائج السياسية والشخصية لرحلتيه، أمكن أن يذكر له أنه نسخ صور مخربشات ثمودية عديدة من ضواحي تبوك، ومخربشات على صخور المرتفعات التي تحيط

ببلدة جته في اقليم شمر، وأقام في دومة الجندل والجوف خمسة أسابيع خلال عام ١٨٤٥، وكان من أوائل الأوروبيين الذين زاروا تيماء في عام ١٨٤٨، وإن ظلت آثارها خافية حتى أيامه(١١).

ووصف رتشارد برتون Sir Richard Burton المقابر النبطية في مغاير شعيب، ونبه إلى آثار المناجم القديمة في منطقة مدين ــ وذلك خلال دراساته الطبوغرافية التي قام بها (موفدا من مصر) في الأراضي الحجازية الممتدة من هضبة حسمى إلى ساحل تهامه. وأكسبته رحلاته معرفة بالعرب وتقاليدهم، واتخذ الاسلام سبيلا إلى المشاركة في قافلة للحج، وزار المدينتين المقدستين مكة والمدينة باسم الشيخ عبد الله الافغاني في حوالي عام ١٨٥٣(١٢).

وانفسح مجال الرحلة من ناحية أخرى إلى الجنوب العربي أمام عدد من رجال البحر البريطانيين منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر وخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكان منهم من شجعتهم المهام الحربية والمدنية التي كلفوا بها في البحر الأحمر والمحيط العربي إلى أن يتتبعوا عفوا أو قصدا مامروا به من مواقع الحضارات العربية القديمة. وهكذا تناولت بعضها بالذكر الخاطف تقارير بروس وإروين وهنري روك فالانسيا، وبعض رؤساء بحارة السفينة باليينوروس التي قدمتها شركة الهند للبحرية البريطانية. وبهذا شاهد الطبيب المساعد هـ.ت. كارتر أطلال ميناء خور روزي في عام ١٨٣٣ ونبه إلى نصوصها القديمة. ووجه الكابتن ج.ف.ر.ولستد Wellsted J. F. R. (ورفيقه القبطان س.ب. هاينس S. B. Haines) الأنظار إلى

آثار حصن الغراب حول ميناء قنا أكبر موانى دولة حضرموت القديمة، ونسخ بعض نقوشه في عام ١٨٣٤، ونشر عنها واعتبرها قريبة الصلة بالنقوش الحبشية التي بدأ ظهورها هي الأخرى حينذاك في عالم الاستشراق. ثم عاد في عام ١٨٣٥ فنبه وزميله كروتندن Cruttenden Charles J. إلى آثار حصن نقب الحجر أو حصن مدينة ميفعة أحد مراكز الحضارة الحضرمية القديمة، وشاهد نقوشه. ثم سجل ملاحظاته عن خصب وادي حضرموت وإن عز عليه أن يتعمق في داخله، وربما وصل إلى أطراف الربع الخالي. وزار من ناحية أخرى آثار الأنباط في مغاير شعيب بشمال الحجاز حيث نسخ بعض نصوصها، وكتب عن ميناء الوجه التي كانت تخدم تجارة دولة ددان ولحيان. وقام ولستد بدراسات طبوغرافية في عمان، وواجه بعض المشاق خلال جهود الوهابيين للسيطرة على سواحل الخليج العربي، ووصل إلى الحافة الجنوبية للجبل الأخضر، ثم رجع إلى الهند بعد رحلة طويلة عبر الساحل إلى صحار(١٣).

وبينما كان ولستد في عمان، وجد البريطانيان هلتون Hulton وسميث Smith خمسة عشر نصا أثريا على مقربة من رأس شرمة على الساحل الجنوبي. ثم نسخ هلتون وكروتندن خمسة نصوص سبأية من صنعاء في عام ١٨٣٦. ونسخ هاينس Haines نصا من عدن أعلن عنه عام ١٨٤٢، كما أعلن بيرد في عام ١٨٤٤ عن خمسة نصوص اشتريت من عدن. وفي الوقت نفسه تقريبا نبه موريس تاميزيه الطبيب الفرنسي المرافق لجيش محمد علي إلى أطلال أثرية عند بئر البرود في وادي فاطمة. واتجه تاميزيه إلى عسير ثم زار بعض مناطق اليمن في عام ١٨٣٥ حيث

رافقه إدوارد كوب في الرحلة من جيزان إلى اللخية والحديدة و بيت الفقيه وزبيد وموشج والمخا. ونبه طبيب فرنسي آخر يدعى بول إميل بوتا عمل في جيش محمد علي إلى أطلال حصن قديم فوق جبل صبر قرب تعز(١٤).

وخلال هذه الحقبة من الزمان، و بناء على مادخل المتاحف الأوروبية والمجموعات الخاصة من النصوص العربية الجنوبية، تفرغ بعض المستشرقين الأوروبيين لدراسة خصائص حروف المسند ومقارنتها بالحروف الحبشية والعبرية والفينيقية وغيرها من الكتابات السامية القديمة. وكان من رواد هذه الدراسة فورستر الايرلندي، وعمل في ألمانيا كل من أميل رودجر Emil R. Rodger في عام١٨٣٧، وهـ. فلهلم جيسينيوس H. F. Wilhelm Gesenius في عام ١٨٤١ ــ وج. جيلد ميستر(١٥). وإن ظلت محاولا تهم قائمة على الحدس والتخمين أكثر من قيامها على اليقين.

وسلك الألماني أدولف بارون فون فردي Baron Von Wrede - Aodlph سبيل الرحلة في قلب الجنوب العربي، ودان ببعض الفضل في القيام بها لتشجيع فلوجانس فرسنل F. Fresnel القنصل الفرنسي في جدة. واتجه فون فريدي من ميناء المكلا في عام١٨٤٣ إلى حضرموت، واجتاز صحراء البحر الصافي أو صحراء الأحقاف في شمالها، وعثر في وادي أو بنه (أوعبنه) بسهل ميفعة الشرقي على جدار أثري نقش عليه نص نسب إليه واشتهر باسم نص أو بنه. ثم زار وادى عمد، وكان سيىء الطالع، فالى جانب المشاق التي كابدها حتى كاد يقتل في

حضرموت حينما كشف أمره كأجنبي متنكر في إهاب مسلم يبغي زيارة قبر هود عليه السلام، شك بعض مواطنيه في صحة تقريره عن رحلته بعد عودته الى بلده، فانطوى على نفسه واختفى عن العيان، وان اعترف بجهوده الرحالة أرنو الفرنسي والقبطان هاينس البريطاني، ثم نشر البارون هـ. فون مالتزان M. F. Maltzan قصته وخرائطه في عام ١٨٧٠ بعد عشر سنوات من وفاته(١٦). وأثبتت دراسات القرن العشرين صحة بعض ما أتى به عن رحلته إلى جانب بعض آخر زيفه أو سمعه من غيره ولم يحققه.

واستمرت فرص التردد على المناطق والسواحل العربية متاحة للمغامرين والرحالة والملاحين. ولم يكن هؤلاء من الآثاريين أو المؤرخين، ولكنهم ساعدوا بطرق غير مباشرة على ذكر البلاد العربية في مؤلفاتهم والتعريف بها في مجتمعاتهم. وفي شيء من الايجاز يمكن أن يذكر منهم ألفرد فون كريمر A.V.A .Kremer الذي زار مدائن صالح في عام ١٨٥٠ وكتب عن الأساطير العربية(١٧)، ثم كارلو جوارماني Carlo Guarmaini الايطالي خلال تجواله في نجد عام ١٨٦٤ وزيارته تيماء ودومة الجندل والقصيم (١٨).

وكان أكثر شهرة من هذا الاخير معاصره وليم ج. بلجريف W.G. Palgrave البريطاني، ففي سياق مانشره عن رحلاته في أراضي نجد، شمالها ووسطها وشرقها، في عامي ١٨٦٢ ــ ١٨٦٣، للأغراض المتنوعة التي استهدفها رحالة عصره، وبتشجيع من حكومة نابليون الثالث والجمعية الجغرافية الفرنسية، وبمرافقة دليل لبناني يدعى

بركات، أشار بلجريف إلى بعض المعالم الأثرية التي صادفها كالمقابر والرجم ونحوها. وصدر كتابه في عام ١٨٦٥ وترجم إلى اللغة الفرنسية ولكن أخذ عليه أنه كان يعتمد على السماع أحيانا فيما يكتبه دون أن يمحصه ودون أن يقطع الشك فيه باليقين. وكان في أسلوبه الروائي وأصله اليهودي ثم تردده بين البروتستانتينية والكاثوليكية، و بين خدمة البريطانيين والفرنسيين ما أضعف الثقة فيه(١٩).

وساهمت البعثات الفرنسية بنصيب فعال في قصة الكشوف الأثرية بالجنوب العربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان من أشهر رجالها توماس أرنو، وجوزيف هاليفي.

كان توماس جوزيف أرنو Thomas J. Arnaud صيدليا وهاويا للدراسات الطبيعية والآثار الحضارية. وقد عمل في خدمة محمد على في مصر وجدة وعسير، وصحب بعثة تركية في صنعاء وتعرف على بعض شخصيات هذه المدينة ثم اجتذبته روح المغامرة، وكان قد وجد التشجيع على الارتحال من القنصل الفرنسي المثقف ف . فرسنل الذي ظل دءوبا على تزكية ماينمي المعرفة بشبه الجزيرة وآثارها. وسلك أرنو طريق القوافل الواصل بين صنعاء و بين مأرب، وكان من أوائل الأجانب الذين زاروا هذه المدينة الأخيرة في عام ١٨٤٣، ومهد لغيره الطريق إليها، أو بمعنى آخر مهد الطريق إلى معرفة كنوز دولة سبأ القديمة باعتبارها عاصمتها.

سجل أرنو مشاهداته كتابة ورسما عن سد مأرب، ومعبد إلمقه (محرم بلقيس)، و بعض أطلال صرواح، ونسخ ٥٦ نقشا قديما أغلبها

قصيرة، وساءت حال أرنو وضعف بصره في أعقاب رحلته. ولكن شد في عضده أن عمل فرسنل على نشر نصوصه في عام ١٨٤٥ مع اضافة بعض ملاحظاته عليها، وشجعه على استئناف رحلاته ومزاملة فرنسي آخر يدعى فايسير في الوصول إلى نجران والاتجاه الى الحبشة. وترتب على رحلتهما في اليمن والحبشة قصص أدبية مثيرة وإن لم يتوفر لها من القيمة العلمية ماتوفر لأخبار رحلته الأولى التي ظلت بنصوصها من الركائز المبكرة لدراسة الآثار واللغة السبأية والحميرية(٢٠).

وبعد أعوام قلائل قام إرنست أوسياندر Ernest Osiander بدراسة عدد من نصوص المسند اقتناها المتحف البريطاني، نقش بعضها على ألواح برونزية، اشتراها الضابط البريطاني كوجلان من بعض البدو في عام ١٨٦٠ من عمران في شمال غرب صنعاء، ونقش بعضها الآخر على لوحات حجرية وتمثال صغير. وقد نشر عن هذه النصوص في أعوام ١٨٥٦و١٨٦٣ــ ١٨٦٤(٢١).

وأدت حصيلة الجهود المتفرقة السابقة في شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها، إلى جانب غيرها من بقية الدراسات اللغوية للمشرق العربي القديم، إلى أن قررت الأكاديمية الفرنسية للنصوص والآداب في باريس في عام ١٨٦٩ بدء إصدار موسوعة النقوش السامية ــ Corpus Inscriptionum semiticarum ـ وكان ذلك كسبا للدراسات العربية القديمة بما ظهر فيها فيما بعد من بحوث عن النصوص السبأية والحميرية، ثم النصوص المعينية والقتبانية (١٨٨٩ ــ ١٩١١ ــ ١٩٢٩).

وباسم هذه الموسوعة وعلمائها و بتأييد من وزارة المعارف الفرنسية كان الفرنسي اليهودي جوزيف هاليفي Joseph Halevy أكثر حظا من سابقيه في فرص التوغل إلى مناطق الجنوب العربي و وصف العديد من آثاره الظاهرة، ونسخ الكثير من نصوصه ومحاولة ترجمتها. وقد استفاد في أسفاره من رحلة يهودي يماثله وهو يعقوب سفير العبري فيما وصفه من رحلته من الحديدة إلى عمران عن طريق صنعاء ثم عودته إلى عدن. كما استفاد من معاونة بعض بني جلدته من اليهود المستوطنين. وفي هيئة اليهودي الفقير وصل هاليفي في عامي ١٨٦٩ ــ ١٨٧٠ إلى مواضع لم يبلغها الرحالة السابقون. فلم يكتف بالتعرف على عدد من الآثار والنصوص السبأية والحميرية والمسيحية في مدن صرواح وصنعاء ومأرب، وإنما كان أول أوروبي نجح بعد عهد آيليوس جاللوس الروماني منذ عام ٢٤ ق.م.، في قطع الطريق من صنعاء حتى منطقة الجوف الجنوبي، وهناك تعرف على بعض آثار دولة معين القديمة في مثل مدن قرناو يطيل والخربة السوداء، بما تضمنته من أسوار ومعابد وحصون. ونقل بعض نصوصها لأول مرة. ثم بلغ أطراف الربع الخالي و وصل نجران.

وعاد من أسفاره الى فرنسا إلى الأكاديمية الفرنسية وفي حصيلته ٦٨٦ نصا عرف أغلبها لأول مرة من ٣٧ موضعا أثريا. وفي جعبته معلومات وفيرة عن المدن والقبائل الداخلية. ونشر عن نتائج رحلته في المجلة الأسيوية منذ عام ١٨٧٢، وشفعها في السنوات التالية بدراسات تحليلية للنصوص الجنوبية المعروفة حتى وقته. كما نشر مقالا في عام ١٨٧٧ عن رحلته إلى نجران. ومن الطريف أن أحد رفاقه اليهود

و يدعى حايم حبشوش نازعه الفضل في بعض مانسبه إلى نفسه، وروى أن كثيرا مناب عنه في نسخ النصوص لقاء أجر زهيد، وأنه كثيرا ما جزأ النصوص ليزيد عددها و يزيد عطاءه الشحيح. وعلى أية حال فقد ساعدت وفرة نقوش هاليفي وأضرابه على وضع أساس علمي مقبول للدراسات العربية القديمة(٢٢).

وحينما تحولت بلاد اليمن الى إيالة عثمانية عام ١٨٧٠ تركز سلطان الأتراك في صنعاء أكثر مما سواها من المدن الداخلية. ومع قلة اهتمامهم بالآثار القديمة سمحوا حينذاك بنقل نحو خمسين نقشا عربيا قديما إلى متحف القسطنطينية. وهكذا أدت كثرة النقوش هنا وهناك في المتاحف والمجموعات المختلفة إلى أن نشطت معها موجة مباركة من الدراسات التحليلية والدراسات المقارنة.

واستغل البارون فون ملتزن H. F. Von Maltzan رحلته إلى عدن خلال عامي ١٨٧٠ ــ ١٨٧١ في دراسة لهجة مهري في إقليم مهرة بشرق حضرموت، وقد تبين أنها تحمل بعض الخصائص الصوتية للنصوص الحضرمية القديمة، كما احتفظت ببعض الصيغ السبأية والحميرية وكان للرجل فضل النشر عن رحلة فون فريدي و يبدو أنه استفاد من خطواتها في أسفاره(٢٣).

واتجه المستشرق النمسوي سيجفريد لانجر Siegfried Langer في عام ١٨٨٢ من سوريا إلى جدة والقنفذة، ومن الحديدة إلى صنعاء وماحولها، ثم إلى عدن، وكثيرا ما أوقفه المسئولون الأتراك بحجة الحفاظ على حياته، وكثيرا أيضا ماجازف بالتوغل إلى المناطق الداخلية، حتى

لقى حتفه قرب عدن، بعد أن جمع ٢٢ نقشا من ظران وضاف وصنعاء وعدن، وقد نشرت في فينا بعد وفاته(٢٤).

ولعل أهم من يقرن بهاليفي الفرنسي من حيث اتصال المجهود وغزارة المادة، هو المستشرق اللغوي النمسوي إدوارد جلاسر Glaser Eduard وقد ابتعث بدوره من قبل الأكاديمية الفرنسية، وفتح فتحا جديدا في ميدان الدراسات العربية منذ شبابه. واكتست رحلاته بطابع العلنية والرسمية بعد أن أقنع المسئولين في الجنوب العربي بجدواها. وعن هذا الطريق وعن طريق إتقانه للغة العربية في تونس ومصر وادعائه الاسلام وشهرته باسم الشيخ حسين، وتقربه من السلطات التركية، قضى جلاسر في رحلاته بالجنوب العربي نحو عشر سنوات متقطعة خلال الأعوام ١٨٨٢ ــ ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ ــ ١٨٨٦، ١٨٨٧ ــ ١٨٨٨، ١٨٩٢ ــ ١٨٩٤، وبهذا اتسعت معرفته ودراساته للآثار والنصوص الحميرية في مناطق همدان وظفار، والسبأية في مأرب كما اتسعت للآثار والنصوص المعينية والحضرمية والقتبانية. وأضاف للعلم بجولاته حصيلة ضخمة تضمنت ١٠٣٢ نقشا من أهمها نص النصر الكبير في صرواح، ونص حدقان، ونصان كبيران من مأرب عن انهيار سدها وإصلاحه. وقدم مجموعة من العملات القديمة و٦١٦ مخطوطا عربيا وخرائط ورسوما لبقايا القنوات والسدود القديمة والمعابد. وكان من حصيلة رحلته الرابعة خلال أعوام ١٨٩٢ــ١٨٩٤ فيما بين عدن إلى صنعاء، ١٠٠ نقش من قتبان كانت الأولى من نوعها حينذاك ووجهت الأنظار إلى دولتها إلى جانب ماعرف من قبل عن دول سبأ وحضرموت ومعين ــ وقدم جلاسر ٢٥١ مخطوطا عربيا وقد تفرقت نصوصه

ومخطوطاته بين معهد الدراسات الشرقية في فينا ومتحف برلين والمتحف البريطاني، ونشرت الأكاديمية الفرنسية بعضها وبقى بعضها الآخر يتطلب المزيد من الدراسة والنشر، في حين حقق رحلته إلى مأرب ونشر عنها كل من ميللر ورود وكاناكيس.

وكما قضى جلاسر في رحلاته أطول فترة سلخها مستشرق رحالة في بلاد العرب الجنوبية، كان من أكثر الرحالة تحديداً لأهدافه، ومن أصحهم تفهما لتقاليد العرب ولغتهم وعقائدهم. وبهذا ضمن رعاية بعض عظمائهم ومنهم أشراف مأرب، وإن لم تثق بعض القبائل مثل قبيلة عبيدة وشيوخ أرحب في صحة إسلامه. وحينما كان يصعب عليه التجول بشخصه كان يدرب أفرادا من البدو على كيفية طبع النقوش بالضغط (استمباج) على ورق معين ويجزيهم عما يأتونه به منها، وبهذه الطريقة غير المأمونة أحيانا تعرف على نقوش قتبانية ومعينية ماكان ليحصل عليها بنفسه في أماكنها القصية. وفي أواخر أيامه لم يلق من الجهات الرسمية في بلده ماكان يتوقعه من التقدير، فأوقف رحلاته، وإن لم يمنعه هذا من وضع مؤلف متكامل عن تاريخ بلاد العرب الجنوبية وجغرافيتها مستعينا بالنتائج التي استخلصها من رحلاته، وقد توفى في عام ١٩٠٨(٢٥).

واستغل حصيلة النقوش الوفيرة التي خرجت من مناطق الآثار البكر في الجنوب العربي، حتى ذلك الحين، باحثون منهجيون من جنسيات شتى، ولكن لم يخل الأمر من مزالق عملية. فقد صحب النشاط في جمع النصوص العربية القديمة نشاط مماثل في تقليد لوحاتها

ونقوشها. وقد ينقل النقش المزيف عن أصل قديم صحيح العبارة ثم يحرق حجره أو يطمس حتى يوهم بقدمه ولاينكشف زيفه. وقد تبين التزييف في بعض النقوش التي دخلت متحف اللوفر ومتحف بومباي، وفي بعض النقوش التي نشرها هاليفي و برتوريوس ومايلز وغيرهم، سواء أكانت من النصوص العربية/الجنوبية أم من النصوص العربية الشمالية والصفوية. وعلى أية حال فقد اشتهر حينذاك من الشخصيات النمساوية العلمية في استخلاص قواعد اللغة العربية الجنوبية د.هـ. ميللر D . H . Muller ، وقد حاول ترتيب النصوص القديمة المعروفة حتى وقته ترتيبا زمنيا، و بحث في قواعدها، واستعان في دراساته بالمصادر الاسلامية عن تاريخ اليمن. وترجم إلى اللغة الألمانية الجزء الثامن من الاكليل للهمداني في وصف جغرافية بلاد العرب وآثار المعابد والقصور والحصون وما يتصل بها من قصص وأساطير، وحققه وعقب عليه. وكان ميللر قد رأس بعثة في عام ١٨٩٨ مع زميله لندبرج C . Landberg باسم أكاديمية الفنون في فينا لجمع المزيد من النصوص وتمحيص ماسبق نسخه منها في المناطق الجنوبية العربية وماحولها. ولكن النفوذ البريطاني لم ييسر له سبيله في اليمن فاتجه إلى حضرموت واستطاع على الرغم من مواجهة صعوبات محلية أن يستوثق من نقوش أو بنه في ميفعة ونقوش حصن الغراب في قنا، و بلغ عزان، ولكن لم تطل إقامته هناك واتجه ببعثته في عام ١٨٩٩ إلى مهرة وسوقطرة والصومال(٢٦).

وانفتحت أبواب حضرموت أمام كل من ليوهرش Hirsch Leo وقد زار آثار الحوطة وشبام وتريم كما سلك تيودور بنت Th. Bent

وزوجته الاتجاه نفسه إلى الشمال(٢٧). وجمع الألماني هرمان بورخارت H. Burchardt عددا من النصوص والآثار من اليمن(٢٨).

ودرس جـ.هـ. مورتمان J. H. Mordtman القنصل الألماني بالقسطنطينية(٢٩) وزميله مارك ليدزبرسكي Mark Lidzbarski بجامعة جوتنجن عددا من النصوص العربية القديمة على منهاج علمي سليم(٣٠). وحاول مارتن هارتمان M. Hartmann في برلين استخلاص عناصر الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمع العربي القديم(٣١). وكتب هوجوفنكلر H- Winckler من برلين، أيضاً، عن العقائد العربية القديمة (٣٢).

وظل فريتز هومل F. Hommel من ميونيخ أكثر أضرابه إنتاجا وتنويعا، بفضل مانشره عن تاريخ وجغرافية بلاد العرب، ودراساته عن عقائدها القديمة، ونظرياته عن التواريخ المقارنة لفترات حكم المكربين والملوك، ومحاولاته استخلاص قواعد اللغة العربية الجنوبية بناء على النصوص المعينية بخاصة وقد اعتبرها أصلا لغيرها من النصوص العربية القديمة(٣٣). ومع وفرة إنتاج هومل عارضه باحثون آخرون في كثير من استنتاجاته.

وظلت موسوعة النقوش السامية في فرنسا معينا خصبا للدراسات العربية، وكتب فيها عن عدد من النصوص السبأية والحميرية خلال هذه الحقبة جوزيف درنبورج J.Derenbourg وهرتيج درنبورج H- Derenbourg، ومايرلمبرت M. Lambert وغيرهم (٣٤).

وشهد الربع الأخير للقرن التاسع عشر نشاطا مماثلا للرحلات ونسخ النصوص القديمة في شمال شبه الجزيرة العربية. وكان من أظهر رجاله تشارلس مونتاج دوتي Charles M. Doughty الذي نبهت دراساته الجيولوجية إلى وجود أدوات بدائية لدهور ماقبل التاريخ الحجرية في معان بجنوب الأردن، وسمع هناك عن آثار مدائن صالح وروعتها، فلحق بقافلة للحج خلال عام ١٨٧٦ حتى بلغها ونسخ بعض نصوصها وتعرف على مقابرها. وشجعته هذه الرحلة على تكرار جولاته بين مدائن صالح والعلا والخريبة حيث استزاد من النصوص النبطية والثمودية واللحيانية. ونشر اللغوي جوزيف رينان J. Renan (٢٧) نقشا منها في عام ١٨٨٤ فكانت من النماذج المبكرة التي دعت إلى الربط بينها وبين أشباهها من نقوش جنوب الشام.

وأشار دوتي فيما نشره إلى معالم قديمة أخرى في تيماء والطائف ووادي فاطمة. ولقيت جهوده نصيبها من التقدير، وان كان قد أخذ عليه افتراؤه على الاسلام والمسلمين في بعض ماكتبه عن مشاهداته في رحلاته (٣٥).

واقترنت هذ المعرفة بآثار ونصوص غرب شبه الجزيرة العربية ووسطها بما جمعه تشارلس هوبر Ch. Huber في نفس الفترة تقريبا خلال رحلاته في أعوام ١٨٧٨ ــ ١٨٨٢، ١٨٨٣ ــ ١٨٨٤ وقد نشر بعضها تشارلس برجر Ch. Berger في عام ١٨٨٤ ونُشر بعض آخر في عام ١٨٨٨ وعام ١٨٩١ ــ وكان هوبر قد استعان بالأموال والأسلحة والهدايا على التقرب من أمراء تيماء وحائل ويسر ذلك له أن يعمل على

تهريب نصب تيماء الشهير، وقيل إنه استخدم أربعة من الابل في نقله إلى العلا ثم نقل بطريق سكة الحجاز إلى دمشق حتى تم ترحيله إلى فرنسا حيث حفظ في متحف اللوفر. وعاود هوبر الكرة على تيماء بعد أن ترك سجلاته في جدة، وكان الشك قد زاد حوله وظن الناس به الظنون وهو يتفقد الصخور و ينقل نقوشها، فأوفد ابن الرشيد أمير حايل خلفه من قتله في عام ١٨٩١ وحطم أحجاره ونقوشه(٣٦).

وكان قد شاركه يوليوس يوتنج J. Euting في زيارة العلا ومدائن صالح والخريبة، ثم زار تيماء وجمع ٢٥ نقشا معينيا ومايقرب من ٥٠ من المخربشات من العلا أو معن مصرن، ونشر عما جمعه من النصوص النبطية في عام ١٨٨٥ وعام ١٨٩٣، ومن النصوص الثمودية في عام ١٩٠٤ ــ كما نشر عن نتائج رحلاته وماشهده من آثار متفرقة في عام ١٨٩٦ وعام ١٩١٤(٣٧).

وفي الوقت ذاته استمرت الرحلات المتقطعة هنا وهناك، فتجولت السيدة آن بلنت Anne Blunt في شمال شبه الجزيرة ونجد خلال عام ١٨٧٩، وزار سنوك هورجونيه Snouk Hurgonie الهولندي الحجاز في عامي ١٨٨٥ ــ ١٨٨٦، وكتب في عام ١٨٨٨ عن مدنه التي زارها وطبيعة حياة أهلها وزائريها في موسم الحج بخاصة(٣٨).

* * *

بحوث مكثفة

تجمعت من جهود الرحالة والباحثين مع أوائل القرن العشرين حصيلة مناسبة لتحقيقات علمية مترابطة إلى حد ما عن شمال شبه الجزيرة العربية. وقد ساهم فيها بنصيب كبير ألوا موزيل Alois Musil أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة براج. فقدم دراسات تفصيلية خلال نحو عشرين عاما (١٨٩٦ ــ ١٩١٥) عن التاريخ الجغرافي أو الجغرافيا التاريخية لشمال الحجاز وشمال نجد من خلال عدة رحلات لم يسلم خلالها من مواجهة المشكلات هنا وهناك.

وقام في الوقت نفسه بدراسات أكثر استفاضة عن جنوب فلسطين وبادية الشام وبادية العراق وأواسط الفرات وواحة تدمر. ونشرت الجمعية الجغرافية الأمريكية أغلب نتائج رحلاته وبحوثه فيما بين أعوام ١٩٢٦ ــ ١٩٢٨(٣٩). وتناول موزيل فيما كتبه طبوغرافية الأراضي ومصادر المياه، وحقق أسماء الأماكن والأعلام في نشأتها وفي تطورها، وترسم طرق التجارة القديمة والمعاصرة له، وتعرف على كنه مناطق الآثار والنصوص القديمة النبطية والثمودية واللحيانية والعربية، بل والاغريقية واللاتينية. وحاول أن يربط بين هذه كلها وبين ما أتت به قصص الكتب المقدسة عن الشعوب العربية وأنبيائها، كأقوام مدين وثمود وارم، وقصة موسى وقصة الخروج، وتاريخ إدوم ومعون والأنباط. واستعان في تحقيقاته بروايات الرحالة وكتابات المؤرخين والجغرافيين الاغريق والرومان، ومؤلفات المؤرخين والجغرافيين المسلمين، ثم

ماوصلت إليه الدراسات الحديثة المستمدة من الآثار والنصوص والطبوغرافيا حتى أيامه. وأفاض موزيل في ذلك كله إلى جانب الكتابة المعتادة عن حياة المجتمع البدوي، وتوزيع مناطق العمران قديما وفي العصر الحديث الذي أتم فيه رحلاته. وظهرت له بحوث رائدة أخرى لعل من أشهرها تفنيده لنظرية الباحث الايطالي كايتاني التي أرادت أن تربط بين الهجرات العربية في عصورها القديمة والاسلامية وبين دورات طبيعية من القحط والجفاف تعاقبت كل ألف عام، على حد زعمه.

وأسهمت دراسات موزيل مع دراسات غيره من الباحثين أمثال برينو Brunnow ودوماسوفوسكي ودلمان Dulman في إضفاء الشهرة على آثار بترا (البتراء)، وترسم طرق التجارة والقوافل العربية القديمة إلى دمشق وتدمر والفرات وساحل البحر المتوسط وبلاد الروم.

في الوقت ذاته تقريبا، غلبت الصبغة اللغوية والأثرية على أهداف رحلات الباحثين الكبيرين ج.أ. جوسين J. A. Jaussen ور. سافيناك R. Savignac في شمال شبه الجزيرة العربية وعلى ساحل الحجاز بخاصة في أعوام ١٩٠٧، ١٩٠٩، ١٩١٠. وكانا من الآباء الفرنسيسكان في القدس، وشجعهما مد سكة حديد الحجاز وتعبيد طريق الحج من الشام إلى المدينة على التنقل في أمان نسبي. وقد أسهما في نسخ ونشر مئات من النصوص القديمة الدادانية واللحيانية والثمودية والنبطية وترجمتها، إلى جانب بعض النصوص العربية. وكان لهما فضل دراسة عديد من الآثار في تفصيل، وتصويرها تصويرا دقيقا،

لاسيما في مدائن صالح والخريبة وفي مدين وتيماء. وقد نشرت نتائج بحوثهما في ثلاثة مجلدات كبيرة بين أعوام ١٩٠٩ ــ ١٩١٤، وفي عدد من المقالات القصيرة(٤٠). وأصبحت دراساتهما في الحق من الأسس التي استعانت بها الكتب الموسوعة عن الحضارة اللحيانية (في مثل مؤلفات ونت F. Winnett وكاسكل W. caskel)، وعن الحضارة النبطية (في مثل مؤلفات كرامر F. Kramerer وكونتينو Contineau)، وعن الحضارة الثمودية (في مثل مؤلف فان دن براندن den Branden A. Van)... إلخ.

ومع تقدم الدراسات اللغوية برز مع القرن العشرين لفيف من الباحثين الذين تتلمذوا على الرواد الأوائل، وانكبوا على استقراء مضمون النصوص القديمة والمعالم الأثرية الظاهرة لتصوير حياة أهلها وعقائدهم وتأريخ أحداثهم، مع الاستعانة بالدراسات المقارنة المناسبة. وهكذا على سبيل المثال أفاض ديتلف نلسن Ditlef Nelsen في تحليل العقائد والديانات العربية القديمة(٤١) وجاراه أدولف جروهمان Adolf Grohmann في الحديث عن الديانة والعمارة والفنون والموارد الاقتصادية(٤٢)، واهتم نيكول رودوكاناكيس Nikol Rhodokanakis بدراسة النصوص المتصلة بالأراضي والزراعة والري والاهداءات والنظم الادارية والاقتصادية والضرائب... إلخ(٤٣). وأرخ تكتش J. Tatsch وزملاؤه للجنوب العربي في دائرة المعارف الاسلامية وموسوعة باولى فيسوفا تأريخا موسعا. وظلت الرحلات والدراسات الجيولوجية والجغرافية لمظاهر البيئة وطرق التجارة ووسائل الري وما إليها مكملة للجهود الأثرية والتاريخية في ميدانها.

وارتبط نشاط البريطانيين المعنيين بشبه الجزيرة العربية بازدياد رغبة دولتهم في مد نفوذها إلى مناطق الجنوب العربي. واتخذ هذا النشاط صورا مقنعة في القرن التاسع عشر عن طريق الرحلات البحرية والعلاقات الاقتصادية كما مر بنا. ثم ازداد وضوحه خلال القرن العشرين، وممن وضح أثرهم في هذا السبيل برترام توماس Thomas Bertram الذي أتاح له منصبه كمستشار مالي في مسقط أن يتجول آمنا في كثير من المناطق العربية المجاورة، وأن يشبع ميله إلى المغامرة. وهكذا غدا في عام ١٩٣١ أول أوروبي يعبر حدود مفازة الربع الخالي، أو مفازة صيهد، في طريقه من ظفار إلى قطر، وقد اجتازها في ٥٨ يوما.

وإلى جانب ماجمعه برترام في رحلاته من نماذج التكوينات الجيولوجية والحيوانية وما صوره من خرائط طبوغرافية، أشار إلى وجود آثار قديمة على أطراف الربع الخالي، ووصف فيها بقايا بحيرة ملحة لعلها تبقت من آثار امتداد روافد الخليج العربي إليها خلال بعض الدهور الجيولوجية العتيقة (٤٤).

وشجعت هذه المغامرة هاري سان جون بريدجر فلبي Philby Harry St. John Briger على أن يسلك نفس المسلك الخطر مستعينا بخارطة برترام توماس. وكانت له رحلاته المبكرة منذ عامي ١٩١٧ — ١٩١٨ عبر طريق الحج الأوسط وخلال نجد والحجاز في شمال شبه الجزيرة. ونبه إلى شواهد حضارات قديمة في مثل واحة السيح وواحة الحواطة. وتوالت مغامراته، فسلك في بداية عام ١٩٣٢ مابين الهفوف وبين سلوى جنوب قطر، واجتاز الربع الخالي، وعثر على أدوات

حجرية بدائية متناثرة على جزء من حافته الشرقية نسبها إلى جماعات مما قبل التاريخ. وزار أطلال وبر والحديد التي صورتها الأساطير على أنها من خرائب مدينة عاد بن كفاد، وبلغ وادي الدواسر.

وتعددت رحلات فلبي في شمال شبه الجزيرة ووسطها وجنوبها، كما تنوعت أهدافه منها وكتاباته عنها. فتنقل في الجنوب من نجران مخترقا رملة السبعتين، رملة صيهد الى شبوة والعقلة وتريم ووصل وادي الشحر، وخرج بعديد من النقوش والصور، ونشر عن مشاهداته هناك في مؤلف بعنوان «بنات سبأ» Sheba's Daughters في عام ١٩٣٩.

وظل جون فلبي أو عبد الله فلبي كما ذاعت شهرته، غزير الانتاج شديد الجرأة في استنتاجاته. ولعل الآراء لم تتفاوت في تقييم دراسات باحث في التاريخ الحضاري القديم لشبه الجزيرة العربية بشمالها وجنوبها، كما تفاوتت في الحكم على رحلاته ومؤلفاته. وكل مايمكن التعقيب به عنها الآن هو أنها فتحت مجالات رحبة وقدمت في ثناياها معلومات متناثرة كثيرة وتركت لغيره أن يحققها ويمحصها، وأن ينتقي منها. فقد يسرت له ظروفه واتصالاته في المملكة العربية السعودية بخاصة أن يخرج بحصيلة ضخمة من النقوش والمخربشات والآثار المادية إلى عالم النور. وإذا تجاوزنا الترتيب الزمني لرحلات فلبي، فانه يكفي التنويه في هذا الصدد بأنه رأس في أواخر حياته بعثة من الباحثين ليبنز Lippens وج. ريكمانس J. Ryckmans وابن أخيه، وتجول معهم باحثا بين جدة والطائف وأبها ونجران والأخدود

وأطراف الربع الخالي، ثم عاد إلى الرياض وقد جمعت بعثته في حصيلتها ماقدر بنحو تسعة آلاف نص ثمودي، وثلاثة آلاف نص سبأى ولحياني، فضلا عن نصوص إسلامية عديدة. ولم تكن هذه النصوص جديدة كلها، ولم تكن مهمة كلها، ولكنها على أية حال قد وضعت في معين التاريخ العربي القديم ثروة ضخمة. ولعل من أهم ما أتت به هو نص أبرهة الحبشي الذي يعود إلى عام ٥٤٨م، ونص ذي نواس و يعود إلى حوالي ٥٦٨م(٤٥).

قام إنجرامز H. Ingrams الخبير البريطاني والمستشار المقيم في الشحر والمكلا بعدد من الرحلات منذ عام ١٩٣٤، ودون خلالها ملاحظات طبوغرافية نافعة عن حضرموت ومعالمها وسواحلها(٤٦).

وآن للدراسات الأثرية أن تتخطى وصف المعالم الظاهرة ونسخ النصوص إلى التنقيب عن بقية الآثار الدفينة تحت الرمال وفي باطن الأرض. وتعددت على هذا السبيل على فترات متفاوتة بعثات أثرية نمساوية و بريطانية وعربية وأمريكية وغيرها.. فكشفت رويدا رويدا عن العديد من المعابد والمقابر والحصون والمساكن وما احتفظت به من آثار المصنوعات والفنون والنصوص المتنوعة. وعن طريق تعاون الآثاريين واللغويين والمؤرخين زاد التعرف على أسماء القبائل والامارات والمدن والمنشآت القديمة وتحديد مواقعها، وكذا أسماء المعبودات والعبادات وخصائصها، والعلاقات بين الممالك والصلات بين الحكام وتتابع عهودهم وما تم فيها من تغيرات سياسية وعمرانية.. وان اختلط اليقين بالظن والاحتمال في كثير من ذلك وفي حدود مابلغته

المعرفة حينذاك باللغات القديمة ولهجاتها.

ومع هذه الاتجاهات هنا وهناك، ظل الحكام الوطنيون في الجنوب العربي على تخوف وريبة من البعثات الأجنبية التي لايكادون يحيطون بشيء واضح عن خططها ولا عن كنه وهدف البحوث التي تقوم بها. وعلى شيء من التردد أقدمت إمامة اليمن على محاولة لبعث أمجاد تاريخها القديم عن طريق الاستعانة بعدد ممن توسمت فيهم البعد من المطامع السياسية، مع وضعهم في الوقت نفسه تحت رقابة مستترة ــ وسمحت للباحثين كارل راثينس S.C. Rathjens وهرمان فون فيسمان H. Von Wismann خلال الأعوام ١٩٢٨ و ١٩٣١ ــ ١٩٣٢، بالتجول في الربوع القريبة من صنعاء والبدء بالتنقيب الأثري في مناطق حقة وغيمان والنخلة الحمراء. وإذا كان الحذر قد حال دون السماح لهذين الباحثين بالاتجاه بعيدا عن صنعاء إلى مأرب أو إلى الجوف، فقد كانت محاولتهما نقطة بدء،تعرف اليمنيون منها على إمكان بعث آثار حضارتهم القديمة من جوف الأرض، كما كانت أساسا لمعلومات لغوية ودينية قيمة(٤٧) ومارس فون فيسمان والهولندي وفان درميولن وآخرين تجربة مماثلة في حضرموت في عام ١٩٣٧ أتت بثمرات علمية طيبة عن آثارها(٤٨). وفي نفس العام وجدت أرض حضرموت من اهتمام الباحثات مالم يكن متوقعا، فقد اهتدت كل من ج . كيتون طومسون، وأ. جاردنر، وف. شترك (A. Grandner and F. Stark، Thompson G. Caton) خلال عام ١٩٣٧ إلى الكشف عن معبد حضرمي أقيم للمعبود القديم سين إله القمر قرب قرية الحريضة، وكشفن النقاب عن نقوشه، ونظرا لاهتمام الأولتين منهن بالدراسات الجيولوجية وفقن

كذلك إلى تتبع وسائل الري القديمة في وادي عمد ووادي بيش. ثم انفردت ف.شترك برحلات أخرى جابت فيها أرض العربية السعيدة(٤٩).

وانبعثت من القاهرة في عام ١٩٣٦ بعثتان، أولهما بعثة وصفية زار فيها الصحفي السوري الأصل نزيه مؤيد العظم مدينة صنعاء ومدينة مأرب وصورّ ما وقعت عيناه عليه من الآثار والنقوش. ثم نشر أخبار رحلته في جزأين بعنوان «رحلة في بلاد العرب السعيدة من مصر الى صنعاء» صدرا بالقاهرة في عام ١٩٣٨، كما نشرج. ريكمانس عن النصوص التي اهتدى إليها (٥٠).

أما البعثة الثانية فقد غلبت عليها الصبغة العلمية وأوفدتها جامعة القاهرة من أربعة أعضاء: سليمان حزين وخليل يحيى نامي عن كلية الآداب، ونصر شكري درويش ومحمد توفيق الدسوقي عن كلية العلوم، بغية إجراء بحوث في الجغرافيا والآثار والأنثروبولوجيا والجيولوجيا وعلم الحشرات. وخلال ستة شهور تنقلت البعثة بين مناطق متعددة في اليمن وعدن وحضرموت، وعثرت خلال تجوالها على مجموعات من أدوات الدهور الحجرية لما قبل التاريخ ــ في كل من الهضبة اليمنية وحضرموت. وقد تبين أنها أقرب إلى أن ترتبط في صناعاتها بأمثالها في مناطق شرق أفريقيا. وأجرت البعثة بحوثا أثرية في ناعط بشمال اليمن حيث اهتدت إلى معبد سبأى ومايزيد على ستين نقشا، كما جمعت من مناطق أخرى باليمن نحو ٤٠ نقشا حميريا. وسمحت الحكومة اليمنية لها بدراسة المجموعة الأثرية المحفوظة بمتحف

صنعاء وتصويرها. وتعرفت على نقوش أخرى في حضرموت. وإلى جانب النصوص المنقوشة على الأحجار وهي الغالبة، عثرت البعثة على نقوش قصيرة على كسر من الفخار (أوستراكا)، ومخربشات (جرافيتي) على بعض الصخور. وبلغت حصيلتها ١٥٠ نموذجا لنصوص حضرمية ورسوم حيوانية وصور رمزية. ونشر الباحثان سليمان حزين وخليل يحيى نامي عددا من الدراسات العلمية عن نتائج هذه البعثة(٥١). وجعل ثانيهما من مقارناته بين نصوصها السبأية والحميرية موضوعا لرسالة تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه في اللغات السامية، وأصبح من ثم أول أكاديمي عربي متخصص في اللغة العربية القديمة.

وترتب على الوقع الطيب الذي خلفته هذه البعثة في اليمن إلى جانب ملابسات أخرى، أن عاود اثنان من أعضائها رحلاتهما المتقطعة إلى الجنوب العربي، كل في مجال تخصصه. فقد زار محمد علي توفيق الدسوقي اليمن في عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ لمعاودة دراسة آفات النباتات والمزروعات ومكافحة هجرات الجراد بخاصة والتعرف على ظروف توالده والعوامل المؤثرة في طريق هجراته ومواسم تكاثره. وهيأت له انتقالاته الميدانية بالمناطق الداخلية أن يشهد و يصور عددا من آثار ونقوش دولة معين القديمة في خربة براقش بالجوف الجنوبي، ونشر عنها في مؤلف من جزئين بعنوان «آثار معين في جوف اليمن». ودرس خليل نامي النصوص التي تضمنتها مجموعة محمد توفيق من خربة براقش وحقق فحواها(٥٢). وكرر نامي رحلاته العلمية إلى ربوع اليمن في عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٢ مستجيبا لدعوة إمام اليمن وعضوا في بعثة جامعة الدول العربية إلى صنعاء ثم زارها في عام ١٩٥٩، وأثمرت

رحلاته فأظهرت حصيلة وافية من النقوش والآثار الصغيرة. وقد نشر دراساته اللغوية عن أهمها في بحوث متأنية متفرقة(٥٣). وأهدى بعض ما اشتراه من الآثار إلى جامعة القاهرة حيث تعرض الآن في متحف كلية الآثار بها، أطال الله عمره وعافاه.

وأقرب من تقرن اهتماماته باليمن باللغوي خليل يحيى نامي، من بين الباحثين المصريين هو الأثري أحمد فخري، وقد بدأت صلاته بآثار اليمن في عام ١٩٤٧، وفي طريقه إلى صنعاء تنبه إلى آثار لحج وجبل تعكر وظفار و يريم وذمار، وكان من أوائل من جاسوا خلال صرواح من رجال الآثار بعد أرنو وجلاسر، ووصف ما استبان له من تخطيط جدرانها، وصور ونسخ عددا من نقوشها في القصر والخريبة.

وفي مأرب خرج بصور وأبعاد تفصيلية جديدة لما بقي من سدها الكبير و بعض ما كان يحيط به من عمران دلت عليه خرائب نحو ١٧ موضعاً في جنوبي وادي ذنه، واقترح تعديل تخطيط أرنو لمدينة مأرب القديمة وتعيين أبوابها، وصور البقايا الظاهرة من معابدها ونصوصها التي ألمّ ببعضها من قبل أرنو وجلاسر واتبع خطى محمد توفيق في التعرف على الآثار الظاهرة في مدن الجوف لاسيما معين و براقش بما فيها من أسوار ومعابد، وصور عددا من نقوشها، وعرج على هرم وكمنا. ومن بين ماحصل عليه من آثار في صنعاء بضعة آثار صغيرة قلدت الطابع المصري القديم، واقترح القرن السادس ق.م. لتاريخها، ثم جُعل مصري نقش عليه اسم الفرعون أمنحوتب الثالث، ولعله نقل مع إحدى قوافل التجارة في عهده (في القرن الرابع عشر ق.م.) أو فيما بعد عهده.

واتبع أحمد فخري رحلته الأولى برحلة قصيرة في عام ١٩٤٨، تمثلت حصيلته العلمية منهما فيما تقدم من وصف وتصوير الآثار القائمة، ونسخ وتصوير ١٢٠ نقشا لم يكن بعضها معروفا للباحثين. وقد تم نشر هذه الحصيلة في ثلاثة أجزاء صدرت في عام ١٩٥٢، وتكفل الباحث ج. ريكمانس في جزئها الثاني بترجمة النصوص والتعليق عليها.

وعاود فخري الرحلة إلى اليمن في عام ١٩٥٩، وكان أكثر اهتماما فيها ببلدة المساجد. فقدم وصفا جديدا لمعبدها القائم. وظل من الدعاة المتحمسين إلى ضرورة بذل المزيد من الاهتمام بآثار اليمن(٥٤). لولا قلة الامكانيات المادية لدى المختصين الشرقيين حينذاك.

* * *

وفي النواحي الشرقية من شبه الجزيرة كان من المتوقع مع انفتاح الخليج العربي على مسالك التجارة العالمية في أوائل العصر الحديث، وتدخل بعض الدول الغربية في شئونه، أن تتجه اهتمامات بعض رحالتها وآثارييها إليه لينقبوا في جزره وشواطئه عما يمكن أن ينم عن دوره التجاري والملاحي المماثل في العصور القديمة. وكان قمينا بتشجيعهم على اتخاذ هذه الخطوة ماسجله عدد من الرحالة والكتاب الكلاسيكيين (الاغريق والرومان) من أمثال إراتوشنيس واسترابون وبلينوس وأريان وبطليموس وغيرهم منذ أواخر القرن الرابع ق.م. وماتلاه عن أهمية موانى الخليج وثراء أهلها. وكفى منه قول استرابون إن السبأيين والجرهائيين (تجار جرها وهي الجرعاء على الساحل السعودي

للخليج) كانوا من أغنى القبائل عن طريق تجارة البخور والمواد العطرة، فتوافرت لديهم كميات كبيرة من المصنوعات الذهبية والفضية كالأرائك والموائد والمزهريات والأحواض والأواني والكؤوس، واتصفت بيوتهم بالفخامة بحيث كانت الأبواب والجدران والسقوف متنوعة الألوان يزين بعضها بالعاج والذهب والفضة والاحجار الكريمة.

وقول أجاثار خيديس إنه يبدو أنه مامن شعب كان أكثر ثراء من السبأيين والجرهائيين الذين باشروا كل مايندرج تحت عمليات النقل والتجارة.

وكان من المفروض كذلك أن يزداد هذا المطلب إلحاحا مع قراءة ونشر النصوص المسمارية العراقية القديمة التي أشادت منذ أواسط الألف الثالث ق.م. فصاعدا بذكر أقطار دلمون وماجان وملوخا، وأهمية مواردها. وهي أقطار تعددت النظريات منذ عام ١٨٨٠ في تحديد مواقعها، و يتجه الرأي الحديث إلى القول بأنها أقطار امتدت فيما بين الخليج وساحل عمان ووادي السند، وأن جزيرة البحرين ومنطقة الحسا كانتا تمثلان دلمون وواسطة العقد فيها(٥٥).

ولكن يبدو أن عهود السيطرة الأجنبية الطويلة على الخليج لم يكن يعنيها كثيراً أن تشجع البحث عن تراثه القديم أو نشر تاريخه. وتبعا لهذا اقتصر الأمر على جهود فردية متفرقة وكشوف عفوية متباعدة غالبا ماااعتمدت على محض المصادفة. فالى جانب مامرّ بنا ذكره عن رحلات متقطعة إلى مسقط وعمان، لفتت كثرة رجم المقابر القديمة في جزيرة البحرين نظر كل من أ.ل. ديوراند E. L. Durande في عام

١٨٧٨، تيودور بنت وزوجته في عام ١٨٨٩. وفتحت حينذاك عدة مقابر بالقرب من واحة عالي احتوت غرفا حجرية. أعقب ذلك اهتمام أوسع من قبل كل من م.أ.يوانين M. A. Jouannin من إدارة الآثار الهندية في عام ١٩٠٣، وف.ب. بريدو F. B. Prideaux في أعوام ١٩٠٦ ــ ١٩٠٨ ــ حيث كشفت ٦٧ مقبرة، وساد الاعتقاد حينذاك بنسبتها إلى تجار فينقيين قدماء مارسوا نشاطهم في مناطق الخليج. ولما لم يكن قد كشف شيء بعد من آثار العمران القديم في جزيرة البحرين، قيل كذلك إنها مثلت الجبانة العامة لسكان السواحل العربية المواجهة لها. ثم تجدد التنويه بكثرة التلال الأثرية في جزيرة البحرين مع رحلات دالي Daly في عام ١٩٢٠، وجزمان Gezman في عام ١٩٢١. وخلال عامي ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ اهتدت بعثة إرنست ماكي Ernest Mackay باسم مدرسة الآثار البريطانية إلى كشف جبانة قديمة و٣٤ رجما في منطقة سلوى بجنوب قطر، ونسبتها إلى مجموعة من بدو أواسط الألف الثاني ق.م.

وأدت المصادفات دورها من حين إلى آخر في إظهار عدد من النصب المكتوبة القديمة في المناطق الشرقية. ومن ذلك أن عثر رولنسون H. Rawlinson في عام ١٨٧٩ على نص مسماري في البحرين أشار إلى هجر (أجرم)، ويحتمل إرجاعه إلى أواسط الألف الثاني ق.م.، وعثر ارفين شكسبير في عام ١٩١١ في ثاج والحناءة غرب الخليج على نصين قديمين. ووجد نصب بنص إغريقي في الكويت في عام ١٩٣٦.

وازداد الاهتمام الأثري نسبياً بهذه المناطق بما نشره عنها بيتر بروس كورنول P.B. Cornwall وقد عثر على لوحة منقوشة قرب القطيف في عام ١٩٤١، وعثر بعض عمال شركة أرامكو في عام ١٩٤٥ على نقش حميري قرب عين الجون. ووجد نص على تمثال صغير في تاروت. ورد ونت أقدم هذه النصوص إلى القرن السادس أو القرن الخامس ق.م.، على حين رده جام إلى القرن الرابع ق.م.(٥٦).

* * *

الكشوف الحديثة

آذنت أواسط القرن العشرين بنقلة محمودة كما رأينا من مرحلة الرحلة البطيئة والوصف والتصوير والنسخ، وتهريب الآثار وشراء مايبيعه البدو منها، إلى مرحلة التنقيب الأثري المشروع المنظم. وكان من شأن المرحلة الأولى وإن طال الأمد بها أن تؤدي بداهة إلى المرحلة الثانية بعد أن سلطت أضواءها في بطء ولكن في استمرارية على زوايا متعددة من ماضي شبه الجزيرة العربية وآثار حضاراتها الدفينة، وبعد أن ارتقب سبل الانتقال من والى مواطن هذه الحضارات وزاد الاتصال بها، وبعد أن شقت إمارات وممالك شبه الجزيرة طريقها إلى الدولية والعالمية الحديثة في أناة وترقب، واتسعت آفاق تعاملها اتساعا نسبيا بالعالم الخارجي بخيره وشره. وبدأت إرهاصات التحول بما سبق التنويه به من تنقيبات أثرية سطحية خاطفة تولاها كارل رايثنس وهرمان فون فيسمان وفان درميولن في اليمن وحضرموت، وقامت بمثلها جرترود كيتون طومسون، وأ. جردنر، وف. شترك، في حضرموت... إلخ.

وجاء من بعد ذلك دوي كبير بخير كثير وشر كثير أيضا من قبل بعثة نظمتها المؤسسة الأمريكية لدراسة الانسان، واشتهرت في الأوساط العربية باسم بعثة وندل فيليبس Wendell Phillips ويذكر رئيسها أن اهتماماته بشبه الجزيرة العربية بدأت خلال عمله في بعثة كبيرة لجامعة كاليفورنيا لدراسة شئون المناطق الحارة في شرق أفريقيا، بعد أن وجد في

تعدد تخصصات أعضاء هذه البعثة مثلا يحتذى للتغلب على مشاق البحث في المناطق النائية. ومن خلال استعداده الشخصي لعقد أواصر التعارف مع ذوي الحيثية من الشخصيات الشرقية والعربية الكبيرة، وجد أملا كبيرا في أن يطرق أبواب الأراضي البكر في شبه الجزيرة العربية. وكان طبيعيا أن يلتمس العون من ذوي النفوذ والخبرة في المناطق الخاضعة للنفوذ الأجنبي في طرفي الجنوب العربي، في عدن من ناحية، وفي مسقط وعمان والمحميات من ناحية أخرى، إلى جانب التماس التأييد المادي والعلمي من جامعة كاليفورنيا والمؤسسة الأمريكية لدراسة الانسان وعديد من الشركات في الولايات المتحدة. وزاد إمكانياته عن طريق الاغراء بما يمكن أن تسفر عنه بعثته من نتائج في أرض البخور الأسطورية، وعن طريق ضم عدد كبير من ذوي التخصصات المتنوعة والجنسيات المتعددة إلى مجموعته، ثم الدعوة إلى إدماج عمليات تصوير مخطوطات دير سانت كاترين في سيناء في خطته مستغلا اهتمامات أصحاب التوراة والانجيل بها.

وبدأ الاستعداد بأسبوعين من أعمال المسح الجوي للجنوب العربي خلال عام ١٩٤٩، والاستعانة بارشادات سان جون فيلبي، وشارل هـ. انجا مدير الآثار في عدن، وغيرهما من ذوي الخبرة هنا وهناك. وفي موسم العمل الأول بدأت البعثة في محمية عدن بوادي بيحان حيث رقدت مدينة تمنع عاصة قتبان القديمة تحت الرمال وكان قد تعرف عليها من قبل ج.ر. بيوري ثم س.هـ. انجا. وهناك في هجر كحلان الحالية كشفت البعثة عن أجزاء من أسوار المدينة القديمة وبواباتها وبعض مبانيها الرئيسية، وعدد من مقابرها في هجين حميد

وحايد بن عقيل، كما كشفت عن أعداد من النصب الحجرية والتماثيل البرونزية والمرمرية، فضلا عن نقوش ومخربشات عديدة.

وبعد فترة من العمل في تصوير مخطوطات دير سانت كاترين بسيناء بالتعاون مع ممثلي قسم التاريخ بجامعة الاسكندرية، تم التزود بحصيلة مالية وعلمية جديدة من الولايات المتحدة، عاودت بعثة وندل فيليبس العمل لموسمها التالي، حيث استأنفت تنقيباتها في جبانة حايد بن عقيل، وهجر بنو الزرير لدى مدخل ممر مبلقية الكبير، وكشفت عن العديد من التماثيل والنصب وأدوات الزينة، كما استكملت عملها في العاصمة القتبانية تمنع وكشفت فيها عن جزء من معبد عثتر، وخرجت من دراساتها بمايوحي بقيام الوجود القتباني القديم منذ أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، وهو مازكيناه فيما بعد بقرائن من المصادر المصرية القديمة (تراجع حاشية ٦٧).

وإلى مأرب كبرى عواصم سبأ باليمن اتجهت بعثة وندل فيليبس في موسم عملها الثالث خلال عام ١٩٥١، وبدأت بجولات استكشافية في محرم بلقيس، ومعبد برآن، وحول سد مأرب. وبعد مشكلات شاع ذكرها حينذاك ولاضرورة للخوض فيها ــ ركزت البعثة عملها في معبد أوام (أو محرم بلقيس) وأظهرت من عناصره المعمارية ومن نصبه وتماثيله ونقوشه مايجعله واحدا من أروع العمائر العربية القديمة، وإن ظلت بعض أجزائه تنتظر الكشف عنها حتى الآن.

ومارست البعثة كشوف موسم عملها الأخير في ميناء سمهورام في خور روزى على ساحل ظفار في عمان، وكشفت فيها ضمن

ما كشفت عن معبد عشتر، وقد أشادت نصوصه بالملك إيلعزيليط ملك حضرموت وعاصمته شبوة.

وقلما تباينت الآراء في شأن بعثة أثرية كما تباينت في شأن بعثة وندل فيليبس، وقد قدمنا أنه ترتب عليها خير كثير وشر كثير أيضا. أما الخير فهو ما أزاحت النقاب عنه من مفاخر العمارة والفنون والنصوص العربية القديمة، ومانشرته من أبحاث المتخصصين عن التاريخ العربي وعناصر حضارته القديمة في الكتابة، والتعامل والتجارة، ووسائل الري والمساكن، والمقابر والحصون، والفنون والصناعات، فضلا عن النصوص التاريخية والحربية والعقائدية، بأقلام الباحثين: ج.ر.ب. باون، وو.ف. ألبريت، وف.ب. ألبريت، وج. فان بيك، و ر.ل. كلفلاند، وأ. جام... هـ. كومفورت، وب. سجول، وغيرهم.

وأما الشر الكبير فهو ما اتهم به بعض أفرادها، وليس كلهم، من الاستحواذ على كثير من النفائس الأثرية الثمينة وما ملأوا به صحافة العالم آنذاك من الاساءة إلى سمعة اليمن المستقلة وأمرائها، مما جعل اليمن توصد أبواب البحث الأثري فيها دون البعثات الأجنبية لعدة سنوات. ولم يكن وندل فيليبس آثاريا متخصصا ولكنه كان إداريا بارعا، ونموذجا للمغامر الدبلوماسي الفطن، ورجل أعمال يلبس لكل حالة لبوسها. عمل في مجال الحفريات البحرية، وعمل في الملاحة التجارية، واشترك في الحرب العالمية، ورافق بعثات طبية، وطوف في كثير من أقطار العالم، واصطحب معه إلى بلاد العرب أمه وأخته، وانتقى زملاءه من جنسيات متعددة ليوحي بعالمية بعثته(٥٧).

وفي دول الخليج العربي ظل أمر البحوث الأثرية قاصرا على أمثال الجهود الفردية المتفرقة التي استشهدنا بأهمها ــ حتى أواخر عام ١٩٥٣ حيث نظم متحف آثار ماقبل التاريخ في أرهوس Arhus بالدانمرك بعثة آثارية لتتبع نشاط الانسان القديم في مناطق الخليج وفيما بين العراق ووادي السند. وبحكم تكوينها العلمي بدأت البعثة اهتماماتها الأولى بآثار ماقبل التاريخ، ولكن توالي أعمال المسح الأثري والتنقيب في مناطق بحثها فتح أمامها آفاقا رحبة للكشف عن آثار العصور التاريخية المتعاقبة. وكان لخطوات النجاح الأولى التي أحرزتها البعثة من الدوي في منطقة الخليج ماشابه الدوي الذي أشاعته بعثة وندل فيليبس قريبة الزمن في مناطق اليمن وحضرموت وعمان، وإن اختلف مصير البعثة الدانمركية عن سابقتها بطول عملها وقلة مشكلاتها، حيث امتد نشاطها على فترات ومواسم متفرقة بين أعوام ١٩٥٣ ــ ١٩٧٣ في مناطق أثرية متعددة.

واستهلت البعثة عملها برئاسة جلوب P.V. Glob في مناطق تواجد حجر الظران وأدوات ماقبل التاريخ الحجرية على جبل الدخان والمنطقة الصحراوية في جزيرة البحرين ــ وامتدت منها إلى غيرها من مواطن الدهور الحجرية وسعدت بما جمعته من أدوات الأفهار والشظايا وأسنة السهام ورؤوس الفؤوس للصيد والزراعة، وبقايا بيض النعام، وماسوى ذلك من أدوات حجرية لايكاد يهتم بها غير المتخصصين في دراستها، على الرغم من أهمية دلالتها على معيشة الانسان القديم. واتسعت مجالات بحث البعثة إلى رجم المقابر التي بلغ من كثرتها أن بدت في نظر البعثة أقرب إلى هيئة الغرود الطبيعية في الصحراء منها إلى

هيئات المقابر المبنية، والتي قدر عددها بنحو مائة ألف في جزيرة لايكاد يزيد امتدادها من الشمال إلى الجنوب عن ثلاثين ميلا ولايزيد عرضها من الشرق إلى الغرب عن عشرة أميال. وتنوعت رجـ هذه المقابر بين كبيرة وصغيرة ومخروطية ومستطيلة. وتفاوت متوسط ارتفاعات المقابر ذات القواعد الدائرية بين المتر و بين الستة أمتار، بل وارتفع أكبرها إلى ١٢ مترا و بلغ قطر قاعدته ١٧ مترا، وأحاط ببعضها سور دائري، وذلك إلى جانب مقابر أخرى فقيرة دفن أصحابها في جرار من الفخار.

وتنقلت أعمال الكشف الأثري شيئا فشيئا بين رأس القلعة و بار بار وعالي ودراز وعوالي وسار،.. الخ، حيث تتبعت شواهد العمران في العواصم القديمة التي نسبت إلى عهود متفاوتة عاصر أقدمها الحضارة السومرية، وعاصر بعضها العصر الأشوري الحديث والعصر البابلي الأخير، وعاصر بعضها الآخر الحضارة السليوكية الهيلينستية والحضارة البارثية، مع انقطاع عمرانها في فترات أخرى. وتمثلت أهم مكتشفات البعثة في أطلال معابد بار بار و بعض عناصرها الباقية على ثلاثة مستويات متعاقبة، الأمر الذي شجع على تسمية أهم الفترات الحضارية بجزيرة البحرين باسم حضارة بار بار.

وتنوعت حصيلة مناطق السكن والعبادة والدفن من أنواع الآثار المنقولة، فشملت كمية كبيرة نسبيا من أواني الفخار، ومن أوان حجرية بعض أحجارها محلي و بعضها يحتمل استيراده من هضاب عمان وإيران. ثم مجموعات من الأختام (الدلمونية) المستديرة ذات القمة المدببة أو المسطحة والتي نقش بعضها بمناظر محلية صغيرة، ونقش بعضها الآخر

بمناظر تشبه مناظر الأختام القديمة في العراق وفي وادي السند، وذلك بما دل على العلاقات الحضارية أو التجارية بين الأقطار الثلاثة. ووجدت مجموعات من الأواني والتماثيل المعدنية والمرمرية، وقطع نحاسية، وأخرى من العقيق واللازورد، وأوزان محلية ومنقولة... إلخ.

وأيدت هذه الآثار المنوعة الأهمية النسبية لجزر البحرين في العصور القديمة كمركز لمنطقة دلمون التي رددت المصادر المسمارية ذكرها، ومركز لحضارة خاصة بها وهي حضارة باربار، فضلا عن كونها جزءا من حضارة الخليج العربي في مجمله(٥٨).

وفي سبيل استكمال تتبع الاتصالات التجارية القديمة بين جزر البحرين وبين العراق، ومع التشجيع المادي والأدبي من دولة الكويت، تركزت أغلب أعمال البعثة الدانمركية منذ عام ١٩٥٨ في جزيرة فيلكا أو جزيرة إكاروس (Ikaros، Icara) كما سميت بالاغريقية في عهد الاسكندر الأكبر، والتي ذكرتها المصادر الكلاسيكية لموقعها الاستراتيجي المناسب كمحطة تجارية عند مدخل الخليج، ولما هيأته من المرفأ الآمن والمياه العذبة لسفن التجارة، وبالتالي لما قام بها من عمران نسبي. وسمحت كثرة التلال الأثرية المنتشرة في فيلكا، مثل تلال سعد وسعيد والخزنة والخضر والقرين والبطين..... الخ، بأن تنقب البعثة الدانمركية فيها على مستويات متعاقبة عادت بأقدم مظاهر سكناها إلى أواسط وأواخر العصر الحجري القديم وإلى العصر الكالكوليثي Chalcolithic (النحاسي الحجري)، ثم عاصر بعضها الحضارة السومرية في العراق خلال النصف الأول من الألف

الثالث ق.م.، وكذا حضارة كولي في وادي السند، ثم مايمتد من العصر الأكدي حتى عصر إسين ولارسا في العراق (من أوائل القرن ٢٣ ق.م. إلى أواخر القرن ١٨ ق.م.)، حيث قلت بعد ذلك مظاهر العمران حتى عاد نشاطها مع عهد الاسكندر والعصر السلوقي الذي مثلت فيلكا فيه مركزا تجاريا وحضاريا جمع إلى صبغته المحلية والخليجية عناصر أخرى إغريقية وهيلينستية وفدت مع نشاط الملاحة والتجارة في العصر السليوكي وماتلاه، وظلت اتصالات الجزيرة بشبه الجزيرة العربية قائمة في الوقت نفسه بدليل العثور على نصوص عربية قديمة في أرضها.

وتعددت الآثار الثابتة في مواقع التنقيب في جزيرة فيلكا، وتمثلت في أطلال محلات سكنية وأفران ومواقد، وأسوار وحصون، ومعابد محلية مثل معبد إنزاك ومواقع عبادة آلهة الينابيع ومصادر المياه، وأخرى هيلينستية مثل معبد أرتيميس. وتباينت أطلال هذه الآثار في أحجامها وفي مدى أهميتها، كما تباينت وتداخلت كذلك في أزمنتها، لاسيما بالنسبة لمناطق السكن ومراكز العبادة، بحيث أعيد استخدام بعضها جزئيا أو كليا في فترات متعاقبة، وبحيث يضم الموقع الواحد أحيانا بين آثار دهور ماقبل التاريخ وبين آثار من العصر الهيلينستي متقاربة من بعضها أو مختلطة مع بعضها البعض. وقد لوحظت كثرة استخدام الأحجار في المباني القديمة على عادة أهل جنوب شبه الجزيرة العربية، مع قلة البناء باللبن التي اعتاده أهل العراق.

واحتوت هذه الأطلال وتلك على آثار صغيرة منقولة تضمنت أعدادا مناسبة من جرار الفخار وأواني الأحجار، وبعض أدوات

الاستعمال اليومي، والأسلحة الصغيرة، والأحجار المنقوشة والأساطين المزخرفة، والتماثيل البشرية والحيوانية الصغيرة و بعض القوالب التي كانت تصب فيها، وقطع من العملات المحلية والهيلينستية والعربية القديمة، ومجموعات من المباخر والمسارح، وأشكال تجسد مظاهر الخصب الجنسي والنوعي في أشكال الأفاعي وأعضاء التذكير والتأنيث، فضلا عن عدة نصب بكتابات مختلفة لعل من أهمها ماعرف باسم نصب اكاروس الاغريقي من القرن الثالث أو القرن الثاني ق.م. .

وتميزت مع هذه الآثار أختام صغيرة بلغت عدتها بضع مئات، وصنع أهمها من حجر الاستياتيت اللين، وتنوعت بأشكالها وموضوعاتها بين أختام إقليمية مستديرة شائعة مدببة ذات وجهين أنتجتها حضارة الخليج ، و مجموعة من أختام مخروطية، وأخرى أسطوانية من النوع الذي تميزت بها اختام العراق، وغيرها رباعية شبيهة بأختام وادي السند، كما شكل أحدها على هيئة الجعل المصري. ونقشت على بعضها بالتالي صور مختصرة لكائنات بشرية وحيوانية وأشياء طبيعية وزخارف تخطيطية تمايزت تفاصيلها من مجموعة إلى أخرى، وعبرت عن أذواق أصحابها ورمزت فيما يحتمل إلى بعض عقائدهم الدينية وعاداتهم وأخيلتهم وأساطيرهم مما لايزال يتطلب مزيدا من البحث والدراسة، فضلا عن استخدامها في أغراضهم العملية. ونقشت على عدد منها خطوط مسمارية وإغريقية وعربية قديمة مختصرة. وإذا كانت المجموعات الأسطوانية والرباعية من هذه الأختام قد عبرت عن تأثر إنتاج فيلكا بحضارات جيرانها الأقربين وتبادل العلاقات معهم، فان كثرة أختامها المستديرة الاقليمية كانت مع دوافع البحث عن أمثالها في مخلفات

المناطق المحيطة بها(٥٩).

وباشرت البعثة الدانمركية تنقيباتها في معظم المواقع الأثرية في قطر، لاسيما على ساحلها الغربي، مثل الحملة والوصيل والحويلة ورأس عوينات على وعقلة المناصير ودخان وأم الماء وأم صلال.. إلخ. وعثرت على كمية كبيرة من رقائق ومحتات ومكاشط وقواطع ونصال ورؤوس سهام ورؤوس فؤوس حجرية. وقد صنفتها في أربع حضارات بدائية ترجع إلى فترات مختلفة من العصور الحجرية القديمة، لاسيما العصر الحجري المتوسط (Mesolithic) والعصر الحجري الحديث (Neolithi) والعصر النحاسي الحجري (Chalcolithic). وغلبت على حياة سكان هذه العصور حرفة الصيد وخدمة الرعي ثم خالطها قليل من الزراعة. واهتدت البعثة كذلك إلى مخربشات ورسوم منقوشة مختصرة على جوانب الصخور تصور مناظر زخرفية وملاحية وعقائدية، كما عثرت على أطلال من بلدة متسعة قرب مرواب قد يرجع عمرانها إلى أواسط الألف الأول ق.م.(٦٠).

وامتد التنقيب في الامارات العربية إلى أبوظبي ورأس الخيمة والفجيرة... إلخ، بناء على عوامل وملابسات عدة. وهكذا بدأت البحوث الجيولوجية والبترولية في أبوظبي بالكشف عن ظواهر أثرية شجعت البعثة الدانمركية على أن تركز أغلب أعمالها في جزيرة أم النار التي يحتمل أنها اكتسبت اسمها من كثرة ماوجد بها من أحجار ظرانية كانت تستخدم أحيانا محكات لايقاد النار ثم امتد البحث منها فيما بعد إلى جوار العين ثم قرية هيلي. وكشفت البحوث هنا وهناك عن

شواهد أربع مراحل للعمران في محلات قديمة تضمنت أطلال مساكن منوعة، كما كشفت عن أعداد متزايدة من رجم المقابر المستديرة الفردية، والمقابر الأسرية التي تضم أكبرها خمسة عشر لحدا.

وأرجعت أقدم هذه المقابر إلى فترات من الألف الثالث ق.م.، وقد غطت عليها أحجار ذات زخارف تخطيطية ومناظر حيوانية وبشرية تحتمل معاصرتها للحضارة السومرية. وبني أكبرها بعقود وسقوف من الحجر، وصورت على مداخلها أحيانا مناظر إبل وماشية وأفاعي..

واحتفظت بعض المقابر ببعض ما زود به موتاها من أوان فخارية وحجرية، بعضها خشن وبعضها رقيق محلى بزخارف بسيطة متنوعة، كما عبرّ بعضها بصناعته، وزخارفه عن أذواق محلية أو خليجية، وعبرّ بعضها الآخر عن التأثر بالحضارات المجاورة في وادي الرافدين ووادي السند، ووجودت كذلك خناجر ودبابيس وسهام واسنة نحاسية وبرونزية، وقلائد وأدوات أخرى للزينة من الخرز والعظام والبرونز، ولكن قلت الأختام التي انتشر استعمالها في بقية مناطق الخليج. وذهب بعض الرأي إلى أن أهل الجزيرة القدامى أخذوا في بعض عصورهم الأولى بعادة التضحية بالأتباع حين دفن سادتهم، وانفردوا بهذه العادة دون غيرهم من أهل مناطق الخليج. واستشهد أصحاب هذا الرأي بالعثور على ثلاث جثث متجاورة بجانب الجدار الخارجي لاحدى المقابر، وقد وضعت معها مقتنياتها من الأواني الفخارية. ووجدت جبانات أخرى توزعت فيها مقابر صغيرة أرجع زمنها إلى فترات من الألف الأول ق.م.(٦١).

وفي عمان نقبت البعثة الدانمركية خلال موسم ٧٢ــ ١٩٧٣ بوادي الجزى ووادي السوق في صحار، كما كشفت قرب عبري وبات عن نحو مائة مقبرة كبيرة تراوح قطر الواحدة منها بين خمسة أمتار وبين عشرة أمتار، واتخذت مداخلها هيئة المثلث متساوي الساقين. وتضمنت بعض هذه المقابر أواني من الفخار وأخرى من الأحجار وعددا من الأسلحة النحاسية الصغيرة.

وفي نطاق المملكة العربية السعودية توزعت الآكام الأثرية الصغيرة وداخلتها لحاف الفخار وكسر الأحجار الصغيرة، على طول الساحل الشرقي للخليج العربي، في مثل ثاج والقطيف وتاروت والعقير والظهران والجبيل. وكان لكل هذه المواضع نشاطها الاقتصادي كمراكز بحرية وبرية لتجارة العبور (الترانسيت) فضلا عن تجارتها المحلية، ودلت على ذلك كتابات الرحالة والمؤرخين الكلاسيكيين وبعض المصادر العربية القديمة. وقد مر بنا كيف عثر في عام ١٩١١ على ثلاثة نصب بنصوص مسمارية وسبأية في ثاج والحناءة على بعد ١٥٠ كم إلى الشمال الغربي من الظهران وفي طريق القوافل القديم المؤدي إلى العراق، وعثر على لوحة بنص عربي جنوبي قرب القطيف وأخرى في عين الجون، ونبه ديكسون المعتمد البريطاني في الكويت في عام ١٩٤٢ إلى أجزاء من سور مستطيل قديم كان يحيط ببلدة ثاج.

وشجعت هذه الملاحظات العارضة على مزيد من البحث الأثري على الشاطىء السعودي في فترات متقطعة. وعثر فيما عثر عليه هناك على أعداد من التماثيل الطينية الصغيرة لاناث وحيوانات.

وقامت البعثة الدانمركية بتجميع أعداد كبيرة من كسر الفخار الخشن والرقيق، والأواني الفخارية والحجرية ومباخر مربعة. و يبدو أنها كانت من آثار عمران بلدة عاصرت الحضارة السليوكية أو الهيلينستية. كما عثر على نقش بكتابة عربية جنوبية قديمة في ثاج.

وتعددت رجم المقابر ذات الشكل المخروطي في تاروت والطرف الشمالي لشبه جزيرة دارين على امتداد منطقة القطيف. ووجدت البعثة الدانمركية آثار عمران متقطع متفاوت لعله بدأ معاصرا لحضارة العبيد في أقدم طبقاته، وامتد الزمن به حتى عصر حضارة بار بار في البحرين، وضم مخلفات من الأدوات الحجرية الصغيرة لدهور ماقبل التاريخ، ومخلفات من كسر الفخار وتماثيل صغيرة. وذلك فضلا على أطلال حصن أو معبد قديم وكان كورنول قد عثر على ساحل الخبر على آثار طفيفة لما يسمى اصطلاحا باسم بقايا المطابخ من العصر الحجري الحديث.

وامتدت عمليات المسح الجوي والأثري الدانمركي إلى جرّها (أو الجرعاء العربية والعقير الحالية) على أساس ماشهد الرحالة الكلاسيكيون به من ثرائها ونشاطها الواسع في تجارة العبور خلال العصر السليوكي. وقد مر بنا ماتخيله استرابون عن شواهد ثراء حكامها وكبار تجارها. وتعددت بالفعل أكوام أثرية كبيرة ومقابر فيما بين العقير و بين الظهران، استغلت البعثة الدانمركية ماوجد على سطوحها من كسر الفخار والأواني الحجري لتصنيفها وتوقيتها.

وكان لقرب نشاط البحوث البترولية من الظهران أثر في توجيه

الأنظار إلى ماكشفت عنه أرضها خلال عمليات المسح الجيولوجي ومد الطرق وتعبيدها وحفر الآبار. وقد نبه بيتر بروس كورنول إلى أهمية موقعها وضخامة جبانتها القديمة التي تشابهت رجم مقابرها مع مقابر البحرين، ولهذا نسبها إلى كبار منطقة دلمون القديمة الذين انتشروا في البحرين والأحساء. وتفاوتت مقابر هذه الجبانة في سعتها وأهميتها ومحتوياتها، واحتوى أكبرها على توابيت حجرية وجدران مبنية. ولفت كورنول الأنظار كذلك إلى أطلال عمران قديم حول ميناء جبيل تضمن مساكن بنيت من الحجر وفصلت بينها طرقات منظمة. ثم عثرت البعثة الدانمركية على آثار تماثلها وعلى أشكال نقشت على الصخور المحيطة بها ومثلت مناظر صيد وملاحة وحيوانات وزخارف محلية (٦٢).

وفي الوقت ذاته قامت بحوث تسجيلية ولغوية مستفيضة في النواحي الغربية والشمالية والوسطى من المملكة العربية السعودية كان من حصيلتها ماخرج به ونت وريد F. V. Winnet and W.L. Reed وغيرهما في مؤلف دسم في عام ١٩٧٠(٦٣).

ومن هذا ومن كثير مماسبق الاستشهاد به يستبين أن الفضل في إحياء الاهتمام بالتراث العربي القديم لم يقتصر على فريق الرحالة والمستكشفين والآثاريين، وانما امتد كذلك إلى المؤرخين واللغويين أو المستشرقين الذين استعانوا بمحصلات الفريق الأول وبحثوا فيها، وأقاموا عليها بنيانا مترابطا ــ وإن لم يكن متكاملا ــ للحضارات العربية القديمة، بلغاتها ولهجاتها، وعقائدها، وسياساتها، واقتصادياتها، وتقاليدها ومسمياتها، وفنونها وعمائرها وصناعاتها... وهلم جرا.

وتمايز على رأس هؤلاء جيل سابق استشهدنا ببعض افراده وتجاوزنا عن بعض آخر من أمثال ج . روتشتاين، وهوجو فنكار، وأ.س. شبرنجر، وأوتوفيير، واتوفير وإنوليتمان، وتيودور نولدكه، ورينيه ديسو، وج . فلهاوزن، وجومار أولندر، ودي لاسي أوليرى، وسواهم. وإذا استحق هؤلاء وهؤلاء مزيدا من تفاصيل هذا البحث باعتبارهم من الرواد، فلا أقل من الاستشهاد في إيجاز ببعض أفراد جيل لاحق وجيل معاصر امتاز منهم ج.ريكمانس، ووليم فرانك البريت، وب.بي. ألبريت، وج. ريكمانس الصغير، وهرمان فون فيسمان، وماريا هوفنر، وك . ملاكر وجاكلين بيرن، وف.ف. ونت، ووارنر كاسكل، وسبتينو موسكاتي، وبيترفان دن برندن، وأ.بيستون، وألبرت جام، وغيرهم.

وقد تتابعت جهودهم وظهرت معهم أسماء عدة لا تزال تنشر لها مؤلفات عديدة، مع وجود التفاوت المعتاد بين ماينشرونه، فمنهم من استهدف الرحلة وخدمة الدعاية والاعلام بحيث لا تكاد صفحة مما ينشره تخلو من تفاخره بأنه قابل هذا وطعم عند هذا وأشاد بذاك...، ومنهم من اكتفى بالوصف والدراسة السطحية، ومنهم كذلك من وضع السم في الدسم، كما أن منهم، والحق يقال، من فضّل العلم للعلم، وهو الأنفع والأبقى.

* * *

جهود عربية معاصرة

وكان من الخير أن تحفز الجهود الطويلة المتتالية للرحالة والآثاريين واللغويين والمؤرخين في العصر الحديث، وهي في الحق جهود غربية في معظمها وعربية في أقلها، همّ الباحثين المحليين في الدول العربية للاستفادة منها والسير على منوالها. أو تحفزهم على أحسن الفروض إلى تصحيح مسارها باعتبارهم أولى باحياء أمجاد أرضهم، وأقدر على إدراك روح حضارة أجدادهم إذا أخلصوا حقا في دراستها. ووقعت الاستجابة فعلا، ولو أنها ظهرت متأخرة في الزمن بعض الشيء، وسلكت دروبا عدة للتعبير عن نفسها. فالى جانب ما أسلفناه عن البعثات المصرية للآثاريين واللغويين والرحالة إلى ربوع اليمن خلال أعوام ١٩٣٦ و١٩٤٤ و ١٩٤٥ و١٩٤٧ و١٩٤٨ و ١٩٥٢و ١٩٥٩، نشر جواد علي من العراق موسوعة ضخمة حاول أن يقدم فيها إلى قراء اللغة العربية ثمار العديد من المؤلفات الأجنبية في «تاريخ العرب قبل الاسلام»، وقد تختلف الآراء في أسلوب موسوعته وفي منهاجها، ولكنها على أية حال عمل رائد فتح السبيل مشكورا إلى جهود أخرى أكثر دقة والتزاما. وعُرِّبت بعض المؤلفات الأجنبية كاملة في كتب مستقلة بأيدي المختصين حيناً وبأيدي المترجمين في أغلب الأحيان. وساهمت بعض الصحف الأدبية كالمنهل والعرب في المملكة السعودية، والعربي في دولة الكويت، في تنمية الوعي الآثاري العربي بين المثقفين، بتقديم معين مفيد لقرائها من الدراسات العربية والمعربة عن التاريخ العربي القديم ومواطن الآثار القديمة والاسلامية(٦٤). وعملت بعض

الجامعات والهيئات في مصر والعراق ثم في سوريا ولبنان والسعودية والكويت، على توجيه جيل من الجامعيين إلى مثل هذا الهدف. ويذكر من ذلك على سبيل الاستشهاد وليس على سبيل الحصر والتخصيص، أن أولت جامعة الرياض للتاريخ العربي القديم على اتساعه نصيبا من الدراسة الجامعية المتخصصة منذ نشأتها في عام ١٩٥٩، دون قصره على العصر الجاهلي وحده كما كان شأنه من قبل، مع دعمه بمعارف أثرية متناسبة عوضا عن الاقتصار على جانبه النظري وحده. وشارك كاتب هذا البحث ببعض واجبه في هذا المضمار حين نشأت جامعة الرياض، وجعل من التعريف العملي بآثار الأنباط واللحيانيين في مدائن صالح والعلا سبيلا لاثارة الشغف بأمثالها(٦٥) وهي آثار توفرت لها دلالتها الذاتية، كما قدمت في الوقت ذاته دلالات أخرى على مدى تقارب الفن اللحياني والفن الأنباطي من الفن المصري القديم، في بعض خصائص العمارة والنحت منذ القرن الخامس ق.م. فصاعدا، أي منذ ماقبل صلة الاسلام بأكثر من ألف عام (٦٦). كما جعل الكاتب من بعض المصادر المصرية القديمة مدخلا إلى التعرف على أصول عربية قديمة دلت فيما دلت عليه على تعامل الجنبتين أو الجبانيتيين أسلاف القتبانيين في اليمن، في مجالات التجارة والزيارة، مع المصريين القدماء في القرن الخامس عشر ق.م.، أي منذ ماقبل العصر الاسلامي بأكثر من ألفي عام(٦٧).

وعنى محمود الغول بالبحث في منطقة الجوف ووادي بدنه في شمال المملكة السعودية، ونبه إلى نقوش صفوية وعربية في أطلال قديمة أشارت اليها ليدي بلنت في رحلتها، ولعلها من بقايا حصن مارد. وعثر

على آثار محلية ونصب بنقش لاتيني لعله يرجع إلى حامية رومانية أقامت على مقربة من دومة الجندل على طريق التجارة الرئيسي في الشمال.

وشيئا فشيئا نشأت دائرة خاصة للآثار في الرياض، وبرزت فكرة إنشاء متاحف للآثار، وتألفت بجامعة الرياض جمعية علمية للتاريخ والآثار، وعرّف قسم التاريخ فيها بقسم التاريخ والآثار، ثم خصص قسم للآثار عنى بالكشف عن منطقة الفاو في جنوب نجد بوجه خاص، وبذل في سبيل إحياء تراثها جهودا محمودة. وذهب بعض الرأي إلى اعتبار هذه المنطقة مستوطنة قديمة على الطريق التجاري بين نجران وبين أطراف العراق عبر وادي الدواسر. وفي هذا الطريق وجد سان جون فلبي وبعض الأمريكيين نقوشا قديمة نشرت في عامي ١٩٤٩، ١٩٥٠، وأخرى في قرية الفاو ونشرت في أعوام ١٩٥٢، ١٩٥٦، ١٩٦٦، ثم توالت جهود جامعة الرياض للكشف عن آثار العمران في الفاو على نطاق واسع وماتخلف عنه من الأواني الحجرية والفخارية، فضلا عن نقوش نصب المقابر ومخربشات الصخور، مما اختلط فيه الأسلوب الجنوبي بالأسلوب الشمالي ويحتمل ربطه إلى حد ما بنشاط مملكة كندة قبيل ظهور الاسلام(٦٨).

وفي الوقت نفسه وجدت دراسات الجنوب العربي اهتماما علميا ومحمودا من بعض مثقفي أهلها(٦٩).

وتتابعت أغلب هذه الأوضاع أيضا في دول الخليج حيث شجعت النتائج الأثرية لجهود البعثة الدانمركية ومناصحبها من

اهتمامات تاريخية، عددا من البعثات الوطنية والعربية على أن تدلى بدلوها في الكشف عن جوانب أخرى من تراث الخليج القديم. وترتب على ذلك على سبيل المثال أن أولت وزارة التربية في البحرين اهتمامها لموقعي الحجر والشاخورة منذ عام ١٩٧٠، وجرى الكشف عن مقابر يحتمل إرجاعها إلى ما يعاصر العصر الكاشي، ومايعاصر العصر السلوقي. وهي مقابر مستديرة صغيرة تنتمي لطوائف اجتماعية متباينة. وغالبا ماكانت المقبرة قريبة من سطح الأرض، وربما لصعوبة الحفر في باطن الصخر إلى أعماق كبيرة. وغالبا أيضا ماكسيت جوانبها الداخلية بملاط وعلتها قطع حجرية، وأدت إلى مدخلها درجة حجرية أو أكثر من درجة. واتصفت الأواني الفخارية التي عثر عليها في الموقعين بالطابع المحلي في الصناعة والزخرفة(٧٠).

وشكلت وزارة الاعلام في الكويت مجموعة مصرية كويتية خلال عام ١٩٧٢ للتعرف على مزيد من المواقع الحضارية القديمة وتصنيفها وفق أهميتها، وقد نبهت إلى أهمية بعض الجزر والمناطق الداخلية مثل جزيرة أم النمل والصليبيخات ووارة والبرقان وكاظمة والخضر.. إلخ (٧١).وقامت بعثة من جامعة هوبكنز بدراسات مماثلة وحققت بعض النتائج الأثرية.

وأولت دائرة الاعلام والسياحة والآثار في أبوظبي اهتماما بموقع الهيلي وجبل حفيت ومسطح بديع بنت سعود. وجرى الكشف هنا وهناك عن المزيد من المقابر بعضها دائرية متسعة وتماثل مقابر أم النار وأخرى تتمايز عنها. ووجدت على بعض أحجار المقابر وبقربها رسوم

ونقوش بارزة لهيئات بشرية وحيوانية ومناظر صيد. وتضمنت أنواع الأواني وكسر الفخار التي عثر عليها ماهوخشن وماهو أملس. وإلى جانب كميات الفخار العاطلة من الحلية وجدت كميات أخرى مزخرفة بأشكال حيوانية وتخطيطية صورت بأسلوب محلي أحيانا، وبما يقلد بعض زخارف الفخار الخارجية في مثل بامبور وكلى أحيانا أخرى. وفضلا عن ذلك كله عثر على أدوات صغيرة من الدهور الحجرية، وأنواع من كسر الفخار والخزف الاسلامي، مما عنى اتصال العمران بنسب متفاوتة على مر العصور.

وساهمت بعثة عراقية بنصيب في الكشف عن بقايا آثار العصر الهيلينستي في بضعة مواقع مثل المليحة إلى جنوب شرق الشارقة ومصفوت، ومواقع أخرى محلية قد ترجع إلى أواخر الألف الثاني ق.م. في القصيص شمال شرق دبي، والدور في أم القيوين، والدريحانة في رأس الخيمة، ودبا على خليج عمان(٧٢).

وزارت عمان بعثة من جامعة هارفارد عثرت في مرتفعات ظفار على أدوات ظرانية من الدهور الحجرية، وآثار إسلامية، ورسوم صخرية. وأجرت بعثة من الجمعية الجغرافية البريطانية مسحاً علمياً للساحل الغربي لشبه جزيرة مسندم شمال عمان. وقامت بعثة مصرية بمسح أثري وحفائر بشرجة المنجد بناحية الأخضر خلال عام ١٩٧٤، وحفائر أخرى في ياجران بمنطقة البوريمي خلال عام ١٩٧٥، وعثرت على أدوات حجرية، ومقابر مستطيلة وأخرى مستديرة. وتمايزت منها مقابر كسيت جوانبها الداخلية بالحجر، وتدرجت مبانيها نحو الضيق إلى أعلى.

وكانت مجالا لعقد المقارنات بينها وبين مقابر بقية مناطق الخليج منذ الألف الثالث ق.م. وما تلاه. واحتوت المقابر على أواني فخارية منوعة، وأدوات نحاسية ومذهبة. وامتد البحث بعد ذلك إلى بقايا الآثار الاسلامية في مناطق عدة(٧٣).

ومع تعدد الجهود المتقطعة والمراحل المتلاحقة التي أوجز هذا البحث بعض مساراتها، لايزال اكتمال الصورة الحقة للحضارات العربية القديمة يتطلب مزيدا من الجهود الجادة المتخصصة هنا وهناك، بل ولا تزال بعض الآثار المكتشفة حتى الآن تتطلب كثيرا من البحوث المنهجية المتئدة لتصنيف مكانتها الصحيحة من التراث العربي والشرقي بخاصة، ومن التراث البشري بعامة.

* * *

حواشي البحث

(١) من المراجع العامة للرحلات والكشوف:

See, D.G. Hogarth, **The Penetration of Arabia,** London 1905 (Beirut, 1966); Jacqueline Pirenne, **A la Découverte de l'Arabie,** Paris 1958.

ترجمة قدري قلعجي بعنوان : اكتشاف جزيرة العرب - بيروت ١٩٦٤

D. Nielsen and others, **Handbuch der altarabischen Altertumskunde,** Leipzig, 1927.

ترجمة فؤاد حسنين علي : التاريخ العربي القديم ــ القاهرة ١٩٥٨.

جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ــ حـ ١ بغداد ١٩٥١ (بيروت ١٩٦٨)

Compare, also, F. Hommel, Explorations in Arabia, in Hilprechts, **Explorations in Bible Lands,** Philadelphia, 1903;
Pauly-Wissowa-Kroll Realenzyklopadie der klass. altertumswiss enschafr etc.

دائرة المعارف الاسلامية ــ حـ ١٩ ــ الخ .

(٢) Lodovicho di Barthema, Itinerio Libro, dell' Arabia Felice, in G.B. Ramuslo, **Racolta delle Navigationi ....,** Venetia, 1563, c.IXV, fol. 152 - 155.

جاكلين بيرن : المرجع السابق ــ ٣٧ ــ ٥٧

(٣) يراجع عن تفاصيل هذه القصص والزيارات العابرة: المرجع السابق ــ ص ٥٧، ٧١، ٧٢، ــ ٨٨، ٩٠ ــ ١٠٢

(٤) Jean de La Rocque, **Voyage de l'Arabie heureuse,** Paris, 1716.

(٥) **Op. cit.** 222 - 294: **Relation du voyage de Moka à la cour du roi d'Yemen (1712).**

جاكلين بيرن : المرجع السابق ــ ص ٩٢ ــ ٩٧ ، ١٣٦

(٦) **Carsten Niebuhr, Beschreibung von Arabien,** 1772; **Reisebeschreibung nach Arabien und anderen umliegen Landern,** I-III, 1774-1787; **Description de l'Arabie,** I-II, 1773, 1779; **Voyage en Arabie,** I-II, 1774-80. See also, J. and Mc Farlane, **Arabia Felix** (The Danish Exp. of 1761-67, 1964; Th. Hansen, **Reise nach Arabien (1761-67),** 1965.

(٧) جاكلين بيرن : المرجع السابق ــ ص ١٨٤ ــ ٢٠٤

(٨) Monatische Correspondenz, 1813, Bd-27-28; Carl Ritter, **Die Erdkunde.....,** Berlin, 1846, 744f.

(٩) Johann Ludwig Burckhardt, **Travels in Arabia,** London, 1829; **Travels in Syria and Holy Land, London, 1822.**

(١٠) جاكلين بيرن: المرجع السابق ــ ص ٢٤٣ ــ ٢٥٠، ٢٦٨ ــ ٢٧٠، ٣٣٤ ــ ٣٣٦.

(١١) **G.A. Wallin, in JRGS'** 24 (1855), 139-139-158; F. Hommel, **oo. cit.** 705.

جورج أوغست فالين: صور من شمالي جزيرة العرب ــ مترجم في بيروت ١٩٧١

(١٢) Richard F. Burton, **Personal Narrative of a Pilgrimage to al-Medinah and Mecca,** 2 vols., London, 1857, 1893 (New York, 1964); **The Land of Median,** London, 1879.

(١٣) J.R. Wellsted, **Travels in Arabia,** 2 vols., London, 1838; E.R. Rodiger, **Wellsteds Reisen in Arabien,** Halle, 1843, G. Hunt, **Himyaric Inscriptions of Hisn Ghurab,** 1848.

(١٤) Charles J. Cruttenden, Narrative of a journey from Mokka to Sanca, in **JRGS,** 1838, 267 F.; Journal of an Excursion to Sanca, the Capital of Yemen, **in Proc. of the Bombay Greogr. Soc.,** 1838; Haines, Memoirs of the South and East Coast of Arabia, **JRGS,** 1845, 123f.;

جاكلين بيرن : المرجع السابق — ٢٥٣ — ٢٧١، ٣٣٤ — ٣٣٧.

(١٥) E.R. Rödiger, **Versuch uber die Himjaritischen Schriftmonumente,** Halle, 1841-1842; Wilhelm Gesenius, **Über die Himjaritische sprache und Schrift,** Halle, 1841.

(١٦) H.F. Von Maltzan, **Adolph von Wredes Reise in Hadramaut,** 1870.

(١٧) A.V. Kremer, **Die Sudarabische Saga,** 1866; **Altarabische Gedichte uber die Volksage von Yemen,** 1867.

(١٨) Carlo Guarmani, **Northern Najd,** 1865; see L. Pelly, A visit to the Wahabee Capital, Central Arabiea, in **JRGS,** 1865, 169-191.

(١٩) W. G. Palgreve, Observations made in Central, Eastern and Southern Arabia in 1862-1863, in **JRGS,** 1864, 111-154; **Travels in Arabia,** London 1865; **Narrative of a year journey through Central and Eastern Arabia,** 2 vols., 3rd ed., London 1866.

(٢٠) M. Arnaud, Relation d'un voyage à Mareb (Saba) dans l'Arabie Méridionale ....., en 1843, in **Journal Asiatique,** 1845, 211f. 309f; Inscriptions, transcription Arabe et Remarques de M. Fresnel, **t.** 6, 169-237; Plan de la digue et de la ville de Mareb, *ibid.,* 1874, 1-16.

(٢١) Ernst Osiander, Zur himjarischen Alturtums und Sprachkum de, in **ZDMG,** 1856, 17-73; Zur himjarischen Altertumskunde, **Ibid.,** 1865, 159-293; 1866, 205-287.

(٢٢) J. Halévy, Rapport sur une Mission archéologique dans le Yemen, in **Journal Asiatique,** 1872, 1f. 129f. 489f.; 1873, 305f., 434f., 489f.; 1874, 497f.; etc.; Voyage au Nedjran, in **Bull. de la Soc. de Géographie,** 1873, 5f., 249f., 58lf., 1877, 466f.;

(٢٣) Itinéraire d'un Voyage dans le Yemen, 1869-1870, in **B S G,** 1873, 5f. 1877; Nouvelles Remarques sur les Inscriptions proto-Arabes; Mélanges **d'epigraphie et d'archéologie sémitique,** 1874, 127f.; **Travels in Yemen ..... (to Najran) by Haggim Habshush,** tr. by S.D. Goitein, 1941.

(٢٤) Heinrich Freiherr von Maltzan, Uber den Dialekt von Mahra, genant Mehri, in Südarabien, in **Z D M G.,** 1871, 196f.; 1873, 225 f., 232f.; **Reise nach Südarabien,** 1873. Cf. also, A. Sprenger, **Die alte Geographie Arabiens .....,** 1875.

(٢٥) D. B. Müller, Sabäische Inschriften, entdeckt und gesammelt von Siegfried Langer, in **Z D M G,** 1883, 319-421.

Ed. Glaser, **Archäologische Forschungen in Jemen,** 1883; **Geographische Forschungen in Jemen,** 1882-83; **Meine Reise durch Arhab und Haschid, in Petermann's Geogr.** Mitt., 1884, 170f., 204f. Skizze der Geschichte Arabiens von den ältester Zeiten bis Muhammad auschliesslich nach inschriftlichen Qullen, München, 1889; **Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens** II, 1890; D. B. Muller and N. Rhodokanakis, **Eduard glasser, Reise nach Marib, Samm Wien, 1913.**

(٢٦) **D.B. Müller, Epigraphische Denkmäler von Arabien,** Wien 1899; **Die Burgen und Schlosser Südarabiens, I-II, 1881; Sudarabische Studien 1877; Sudarabische Altertumer,** etc.

G.C. Landerberg, **Arabica,** IV-V, 1897-98, **Etudes sur les dialects de l'Arabie méridionale,** 1909, 1913; **Glossaire,** 3 Bde, 1920f.

(٢٧) Leo Hirsch, **Reisen in Sudarabien,** Leiden, 1897; Theodore Bent and Mrs. Bent, **A Journey in Southern Arabia,** London, 1900; **Southern Arabia, Sudan and Socatra,** London 1900; Two South Arabian Inscriptions; Expedition to the Hadramaut, in **PRGS,** 1895, 316f.

(٢٨) H. Burchardt, Reisekizzen aus dem Jemen, in **Z.d. Gesellsch. f. Erdkunde, Berlin,** 1902, 593-616.

(٢٩) J.H. Mordtmann, **Beitrage zur Minaischen Epigraphik.....,** 1897; **Mordtmann-Muller, Sabuische Denkmaler,** 1883; **Die himjarischen Inschriften,** 1898.

(٣٠) Mark Lidzbarski, **Ephemeris für semitische Epigraphik,** I-III, 1900-1911; **Handbuch der nordsemitischen Epigraphik nelst ausgewahlten Inschriften,** I-II, 1898;

(٣١) M. Hartmann, in **Orient. Lit. Zeit.,** 1907, etc.; **Die arabische Frage mit einem Versuche ....., 1909.**

(٣٢) **Hugo Winckler, Die Volker Vorderasiens (Der alte Orient,** Heft I).

(٣٣) Fr. Hommel, **Sud arabische Chrestomathie,** München, 1893; **Grundriss der Geographie und Geschichte des alten Orients,** I, München, 1904, II, 1926; **Geschichte des alten Sammlung,** 1908; Geschichte Sudarabiens, in Nielsen, **Handbuch....,** 1927, 27-108; etc.

(٣٤) J. et H. Derenbourg, **Etudes sur l'épigraphie du Yemen, Paris, 1884; H. Derenbourg, Yemen Inscriptions, The Glaser Collection.....,** 1887; Le culte de la déesse al'Ouzza, in **Memoires Orientales,** 1905, 33,40; M. Lambert, **Inscriptiones Himjariticas et Sabaeas .....,** t. I-IV; de Goeje, **Studien zur sudarabische Altertumskunde,** II; **Hadramaut, in Rev. Col. Intern** 1886, 101f.

(٣٥) Charles M. Doughty, **Travels in Arabia Deserta,** 2 vols., Cambridge, 1888 **Wanderings in Arabia, 1908;** (with new editions in 1964 f.)

(٣٦) Ch. Huber, Inscriptions recueilles dans l'Arabie Centrale, 1878-1882, in **Bull. de la Soc. géog.,** 1884, 289f.; **Journal d'un voyage en Arabie,** 1888.

(٣٧) Julius Euting, **Nabatische Inschriften aus Arabien,** Berlin, 1885; **Tagebuch einer Reise in Inner-Arabien,** I-II, 1896, 1914, **Epigraphische Denkmaler aus Arabien,** Wien, 1889.

(٣٨) Anne Blunt, **A Pilgrimage to Najd,** 2 vols. London 1883.
آن بلنت: رحلة الى بلاد نجد ــ ترجمة محمد أنعم غالب.

Encycl. Britan., II, 170 (S. Hurgonie).

(٣٩) Alois Musil, **Arabia Petraea,** Wien 1907; **The Northern Hedgaz,** New York, 1926; **Arabia Deserta,** 1927; **The Northern Nejd,** New York, 1928; **In The Arabian Desert,** New York, 1930; etc.

(٤٠) J. A. Jaussen et R. Sairgnac, **Mission Archéologique en Arabie,** I-III, Paris 1909, 1911, 1914, 1920. Inscriptions himgarites, **Rev. Biblique,** 1926, 548-582.

(٤١) Ditlef Nielsen, **Die altarabische Mondreligion,** 1904; **Die sterne als Sohne Gottes; Die Sabaisvhe Gott Ilmukah; Gemeinsemitische Gotter,** 1913; Abstrakte Gotternamen, **O L Z,** 1915; **Der dreieinige Gott .....,** 1922; etc.

(٤٢) A. Grohmann, **Gottersymbole und Symboltiere auf sudarabischen Denkmalern,** Wien, 1914; **Uber Katabanisvhe Herrscherreihirs; Sudarabien als Wirtschaftsgebeit,** I, Wien, 1922; **Arabien** (Kulturgeschichte des alten Orients), Munchen, 1963.

(٤٣) N. Rhodokanakis, **Die Bodenwirtschaft im alten Sudarabien,** Wien 1916-17; **Katabanische Texte zur Bodenwirtschaft.** I-II, Wien 1919, 1922; **Studien zur Lexikographie und Grammatik....., I-II, 1915, 1917, 1931. Die Inschrift an der Mauer von Kohlan - Timna,** Wien 1922; Dingliche Rechte im alten Sudarabien, **W Z K M.** 37 (1930).

(٤٤) Bertram Thomas, **Arabia Felix,** London, 1932; **Across the**

Empty Quarter of Arabia, London, 1932; cf. **The Geographical Journal,** III, 1948, 1-21.

(٤٥) H. St. J. B. Philby, **The Heart of Arabia,** I-II., London, 1922; **Sheba's Daughters,** London 1939; j.a., The Najran Inscriptions, South Arabian Chronology, in **Le Museon,** 1949; The Background of Islam, Alexandria, 1947.

Ruins of Quraiya in **G.J.,** 1951 **Arabian Highlands,** 1952; **The Land of Midian,** 1957; Philby, J. Ryckman et Lippens, **Expédition en Arabie centrale,** 1956.

(٤٦) Harold and Doreen Ingrams, **Arabia and the Isles,** London, 1942-1943, (New York 1966); Burton Memorial Lectures **JRAS, 1945, 169f.;** The South Arabian Incense Road, **J R A S,** 1946, 169 f. See also W. Thesiger, in **Geographical Journal** 100 (1942), 103 also in 1967, 1948, 1949 A. Hamilton, **The Kingdom of Melchoir,** London, 1949.

(٤٧) H. von Wissmann, **Vorislamische Altertumer,** Hamburg, 1932; S.C. Rathjens und H. von Wissmann, **Sudardbien Reise,** Hamburg, 1934; S.C. Rathjens, **Sabaeica,** I-III., 1953, 1955, 1966, etc.

(٤٨) D. Van der Meulen and H. von Wissmann, **Hadramaut, some of its mysteries unveiled,** Leiden, 1932; **Aden to the Hadramaut,** London, 1947; **Onbekend Arabie,** 1951.

(٤٩) G. Caton Thompson, **The Tombs and Moon Temple of Hureidha,** Oxford, 1944; Climate, Irrigation and Early Man in the Hadramaut, G.J., 1939, 18f.; Freya Stark, **The Southern Gates of Arabia (Hadramaut),** 1936;

The Coast of Incense, London, 1953.

(٥٠) نزيه مؤيد العظم: رحلة في بلاد العرب السعيدة ــ جـ ١ من مصر الى صنعاء ــ جـ ٢ من صنعاء الى مأرب ــ القاهرة ١٩٣٨.

G. Ryckmans, Inscriptions Sud-Arabes, **Le Muséon,** 55, 1942.

(٥١) سليمان أحمد حزين: بعثة الجامعة المصرية إلى اليمن وحضرموت ــ مجلة كلية الآداب ــ جامعة القاهرة ــ ١٩٣٦ ــ ص ١٨٧ ــ ٢٢٠.

S.A. Huzayyin, in **Nature,** 1937, 513f.; **Arabia and the Far East,** London 1942.

(٥٢) محمد توفيق: آثار معين في جوف اليمن ــ القاهرة ١٩٥١، نقوش خربة معين ــ القاهرة ١٩٥٢، خليل يحيى نامي،نقوش خربة معين ــ القاهرة ١٩٥٣.

انظر أيضاً: عثمان رفقي رستم : النقوش والآثار بصخور الحجاز ــ القاهرة

(٥٣) خليل يحيى نامي: نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها ــ القاهرة ـ ١٩٤٣ ــ نقوش عربية مجلة كلية الآداب ــ جامعة القاهرة في اعوام ١٩٤٧، ١٩٥٢، ١٩٥٤، ١٩٥٥، ١٩٥٦.

(٥٤) **A. Fakhry, An Archaeological Journey to Yemen,** I-III, Cairo, 1952f.

أحمد فخري : اليمن ــ ماضيها ــ وحاضرها ــ القاهرة ١٩٥٧

معبد المساجد ببلاد مراد ــ المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية ــ القاهرة ١٩٦١.

(٥٥) W.F. Albright, in **AJSL,** 1918; **JAOS,** 1922; S.N. Kramer, in **BASOR,** 96, 18-28; P.B. Cornwall, **Ibid.,** 103,3-11, and see recently K. Jartiz, in **JNES,** 1968; J. Hansman, in **BSAOS,** 36(1973)550f., etc.

(٥٦) E.L. Durand, in **JRAS,** 1880, 189f.; Th. Bent, in **PRGS,**

1980, 1-19; M. Jouannin, F.B. Prideaux, in **ASI,** 1912, 60-75; **G.J.,** 1922, 321-324, 401-408; E. Mackay, in **BSAE,** 1929, 1-29; **AOF,** 1930-31, 239f.; v. Wissmann, **Die Mari Erythraeo,** 292, Anm. 13a; P.B. Cornwall, in **ASAM,** 1943, 230-234; **AOF,** 1945, 169f.; **G.J.,** 1946, 44f.; 1948, 1f.; A. Jamme, by R.B. Bowen, in **BASOR,** 1950, 23, 25; F.V. Winnett, **Ibid,** 1966, 4, 6.

(٥٧) Wendell Phillips, **Qataban and Sheba,** New York, 1955;

Richard La Baron Bown, Jr. and Frank P. Albright (with contributions by B. Segall, J. Ternbach, A. Jamme, H. Comfort and G.W. Van Beel), **Archaeologyical Discoveries in Southern Arabia,** Baltimore, 1958.

(٥٨) G. Bibby, Arabian Gulf Archaeology, in **Kuml,** 1954, 1964, 1965, 1966; **Looking for Dilmun,** London, 1970.

P.V. Glob, in **Kuml,** 1954, 100f., 112f., 1958, 144f.; J.H. Blgrave, **Welcome to Bahrain,** London 1970.

آثار البحرين ــ جمعية البحرين للآثار ــ البحرين ١٩٧١.

تقرير حفائر موقع الشاخورة ــ متحف البحرين ــ البحرين ١٩٧٠.

تقرير حفائر موقع الحجر ــ متحف البحرين ــ البحرين ١٩٧٠.

(٥٩) P.V. Glob, Investigations in Kuwait, in **Kuml,** 1958, 169f.; Archaeological Investigations, **ibid.,** 1959, 238f.: A. Roussel, **ibid,** 1958, 198f.; E. Albrectsen, **ibid.,** 186f.; K. Jeppesen, **ibid,** 1960. 187f., 194f. etc.

تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا ١٩٥٨ ــ ١٩٦٣ ــ وزارة الارشاد والانباء ــ ادارة المتاحف ــ الكويت، نقود يونانية من جزيرة فيلكا (Kuml 1960) دليل المتحف ــ الكويت ١٩٧٠.

(٦٠) P.V. Glob, G. Bibby, V. Nielsen, H. Kapel, in **Kuml,** 1957, 1959, 238f., 1980, 213f., 1961, 181f., 197f., 1962, 1964, 1965, 1969; **JASP,** 1967.

(٦١) P.V. Glob' G. Bibby, K. Thorvildsen, De Cardi, in **Kuml,** 1958, 164f.; 1960, 213f. 1962, 191f., 1965, 1966, 1969.

تقرير أبوظبي ــ المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية (١٩٧١) ــ القاهرة ١٩٧٣ص ٤٥٣ ــ ٤٦١.

(٦٢) J. Mandifield, Thaj, in **B A S O R,** 1963;

ترجم الى: جيمس ماندفل: «تاج من الناحية الأثرية والتاريخية» عبد الرزاق الريس ــ مجلة العرب ــ الرياض ١٩٦٨ ــ ص ٦٣٠ ومابعدها.

بيتر بروس كورنول : البحث عن ماضي جزيرة العرب ــ ترجمة محمود الشهاب مجلة البعثة، ادارة بعثات الكويت بمصر ــ العدد السادس ــ القاهرة ١٩٥٣ ــ ٣٠ مابعدها.

(٦٣) G. Bibby, in **Kuml,** 1965, 1966; P.B. Cornwall, in **G.J.,** 1946; **BASOR,** 1946;
G. Burchalder and M. Golding, "A survey of al-Ubaid Sites in the Eastern Province of Saudi Arabia", 1970.

F.V. Winnet and W.L. Reed, with contributions by J.T.

Milik and J. Starcky, **Ancient Records from North Arabia,** Toronto, 1970; Franz Altheim und Ruth Stiehl, **Die Araber in der alten Welt,** I, Berlin, 1969; etc.

(٦٤) تراجع على سبيل المثال جهود ابن بلهيد ــ جورجي زيدان ــ حمد الجاسر ــ عبد القدوس ــ الانصارى ــ فؤاد حمزة ــ فيليب حتى ــ محمد مبروك نافع ــ يوسف غنيمة ــ نسيب وهبة الحازن ــ

محمد أحمد العقيلي ــ خالد العسلي ــ أحمد العطاش ــ عبد الله خميس ــ سامي الأسعد ــ وغيرهم كثير.

(٦٥) عبد العزيز صالح : مواطن الحضارات القديمة في شبه الجزيرة العربية حتى أواخر القرن الخامس الميلادي ــ مجلة جامعة الرياض ــ ١٨٦٤ ــ ص ١ ــ ٤١

(٦٦) Abdel-Aziz Saleh, Some Monuments of North-Western Arabia in Ancient Egyptian Style, in **Bull. of the Faculty of Arts-Cairo University,** vol. 28 (1966), 1-31.

(٦٧) Abdel-Aziz Saleh, The Gnbtyw of Thutmosis III's Annals and the South Arabian Gebbanitae of the Classical Writers, in **BIFAO,** 1972, 245-262; An Open Question on Intermediaries in the Incense Trade during The Pharaonic Times, **Orientalia** 1973, 370-382; Arabia and The Arabs in Ancient Egyptian Records, **Journal of the Faculty of Archaeology - Cairo University,** 1978, 69-77.

(٦٨) عبد الرحمن الطيب الانصارى: كتابات من «قرية» الفاو ــ مجلة كلية الآداب جامعة الرياض ١٩٧٤ ــ ص ٢٧ ــ ٧٠.

H. J. B. Philby, in **G.J.,** 1949, 86-93, 113, 1950, 11, G. Ryckmans, in **Le Muséon,** 1949, 87f.; **BSOAS,** 1952,5; P. Lipens, ..., **Expédition en Arabie Central,** 1956, 32-33; A. Jamme, in **R S O,** 1966, 289f.; **Sabaean Rocky Inscriptions from Qaryat al-Faw,** 1973.

(٦٩) A. H. Sharafeddin, **Yemen, Arabia Felix,** 1961.

أحمد حسين شرف الدين: اللغة العربية في عصور ماقبل الاسلام ــ القاهرة ١٩٧٥.

(٧٠) تقرير حفائر موقع الشاخورة ــ تقرير حفائر موقع الشاخورة ــ متحف البحرين ــ البحرين ١٩٧٠

(٧١) رشيد سالم الناضوري: تقرير علمي خاص باستطلاع المواقع الاثرية في دولة الكويت، ١٩٧٢ سليمان سعدون البدر: منطقة الخليج العربي خلال الالفين الرابع والثالث ق.م. ــ الكويت ١٩٧٤.
سليمان البدر: مكان الخليج العربي في حضارة الشرق الادنى القديم. وحدة البحث والترجمة، العدد ٢٤، الكويت، ١٩٨٠.
(٧٢) منير يوسف طه: تقرير أبوظبي ــ المؤتمر السابع للآثار في البلاد العربية (١٩٧٤) حسين جعفر منديل : الآثار في أبوظبي.
محمد صالح بن بدوة: تقرير ادارة الآثار والسياحة في مجال الحفريات والتنقيبات.
(٧٣) محمد حسن عبد الرحمن : بحث في الآثار العمانية ــ مجلة كلية الآثار ــ جامعة القاهرة ١٩٧٨ ص ٨١ ــ ٩٤.

* * *

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
تصدير	٥
مقدمة	٩
رحلات عارضة	١٥
طلائع المعرفة	٢٣
بحوث مكثفة	٤٥
الكشوف الحديثة	٥٩
جهود عربية معاصرة	٧٥
حواشي البحث	٨١